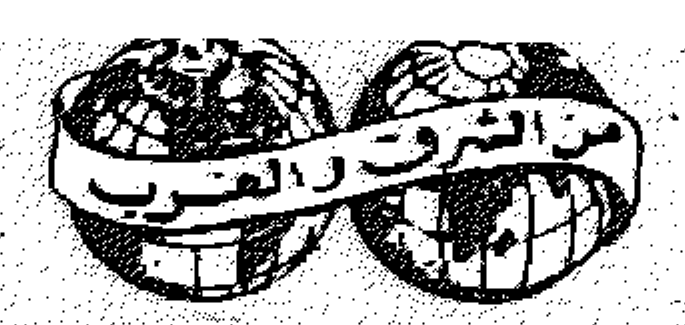
روايات 

عالمية

قضية قذف

إهــــــــداء2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر

الإسكندرية

روايات

عالمية

العدد رقم ٢٦٤

قضية قذف

تأليف : مارى بوردين

ترجمة : عبد المنعم صادق

القسـم الأول

- ١ -

« يا حضرات المحلفين ..

ان الموقف الذى يجب عليـكم أن تتدبروه هو موقف سبعة رجال دعوا للاشتراك فى رياضة صيد مع مضيف أعزب يوم جمعة وهو اليوم الخامس والعشرون من شهر اكتوبر من العام الماضى . وفى مساء السبت يجتمع خمسـة من هؤلاء الضيوف حول مائدة لعب البوكر . وعلى حين فجأة يتوقف اللعب ، اذ يتهم مسـتر جون جرانت وهو أحد اللاعبين لاعبا آخر هو المـاجور دافيوت بالغش .. وينكر المـاجور هذه التهمة . ولكن الكابتن برادفورد زميله فى السلاح يؤيد التهمة ويضيف اليها اتهامات أخرى من عنده ، فيهدد الماجور دافيوت برفع قضية ويتدخـل الأصـدقاء ويفضون النزاع ويقنعون طرفى النزاع بالتزام الصمت ازاء هذه المسالة غير اللطيفة ، ويخرج المـاجور دافيوت من البيت بعد أن يعد أولئك الأصدقاء بانه لن يرفع أية قضية على الذين وجهوا اليه الاتهامات » .

وتنحنح السيد كوينتن جيسوبس محامى الادعاء فى القضية المزدوجة المرفوعة من دافيوت ضد جرانت ، ومن دافيوت ضد برادفورد ومال برأسـه الضخم الى الأمام ، وحدق النظر فى المحلفين بعينين تنطقان بالحقد ، ولم يكن فيه شيء يسر العين ، فقد كان عريض الفكين حاد الصوت أجشـه ، كما كان فى سلوكه ضيق الرجل الذى تقدمت به السن بأى واحد تدفعه حماقته الى مناقشـة ما يورده من حقائق أو الى مخالفته فيما يستخلصه من نتائج . وكان من أعلى المحامين اجرا فى لندن واكثرهم قـدرة وأشدهم غرورا ، وما كان ليقبل المرافعـة فى قضية ما لم يكن

واثقا من الفوز فيها . ولهذا كان قبوله المرافعة فى هذه القضية مثار دهشة كبيرة بين المحامين . كما تناولت الصحف القضية بالتعليقات السيئة ، وبدا للناس جميعا أن الضابط المقامر الشهم الذى ظل طول هذا الوقت غير راغب فى الانتقام لنفسه انما هو غشاش حقيقى فى تظاهره بالشهامة قبل أن يلجأ الى المحكمة .

ومع ذلك فان السير كوينتن جيسوبس بدا عليه انه لا يرى اى ضعف فى حجته . وواجه المحلفين قائلا :

« دعونى نستعرض قائمة الضيوف الذين دعاهم السير بيرنارد روبر الى قصره الريفى المسمى « بلومبتون ميد » فى هذه الزيارة التعسة ، ومن بين هؤلاء السادة أربعة من أصدقاء الماجور دافيوت القدماء هم اللورد بونتفراكت واللورد فريسووتر ووليام كاوبيت ، وتشارلز ادوارد سندرفورد .. وليس اللورد بونتفراكت فى حاجة الى تقديم منى ، فما أظن هناك احدا يفوقه شهرة فى حلبات سباق الخيل أو تقديرا لما أداه من خدمات لبلاده سواء فى داخلها أم فى خارجها . وأنتم تعرفون جميعا وليام كاوبيت وتشارلز سندرفورد ، وسيقرأ أحفادكم عنهما فى كتب التاريخ المقررة عليهم . أما اللورد فريشووتر فهو اقل من هؤلاء شهرة ، ولكن بعضكم يذكر أنه صاحب الفرس روزا مارى التى فازت بالجائزة الأولى فى سباق عام ١٩٢٣ وقدرها ألف جنيه . ولقد كانت الجماعة التى اجتمعت فى ذلك القصر يومئذ من صفوة القوم . فالمضيف وهو السير بيرنارد روبر علم من أعلام دنيا المال فى مدينة لندن . واخيرا نجد مستر جون جرانت وهو أيضا ممن يعملون فى الشئون المالية بلندن وضابطين هما الكابتن برادفورد من فرقة فرسان لانكستر الحادية والعشرين والماجور دافيوت نائب قائد تلك الفرقة المشهورة .

« وفى ذلك اليوم كانت بالقصر سيدتان هما الليدى جينفر مونكسيتون ، ومسز برادفورد زوجة الكابتن برادفورد وهو أحد المدعى عليهما فى هذه القضية . ولكن السيدتين لم تشتركا فى لعب البوكر ولا علاقة لهما بهذه القضية ولا حاجة بى الى

ازعاجكم بأمرهما الآن على أية حال ، فالنزاع هنا نزاع بين رجال وكان الحفل حفــل رجال .

« واسمحوا لى بأن أعرض عليكم بوضوح السؤال البسيط الذى تدور حوله هذه القضية وهو سؤال واضح .. وسيكون جوابكم عليه واضحا اما بالايجاب واما بالنفى . هذا السؤال هو: هل غش المــاجور دافيوت فى لعب البوكر فى مســاء السبت السادس والعشرين من اكتوبر ١٩٢٩ فى قصر الســـير بيرنارد ووبر الريفى ؟ يقول اثنان من خمسة رجال لعبوا تلك الليــلة انه غش ، وهما الكابتن برادفورد ومستر جون جرانت وهما لاينكران انهما اتهماه بارتكابه هذه الجريمة التى تنم عن الجبن ، ولكنهما يقولان انه ليس هناك قذف فى وصفهما اياه بأنه غشاش ، لانهما يدعيان أن هذا الوصف صحيح . وانا الذى أقف هنا ممثلا اياه أوافق على أنه من حمقها أن يبلغاكم هذا الاتهام ان كان ما يقولانه صحيحا . ولــكن ما يقولانه كذب . ولقــد كذب أحــدهما وهو يعتقد أنه صــادق ، وهذا من شانه أن يجعل كذبه اشد خطورة وضررا .

« وانا واثق من انكم تفهمون خطورة الاتهام واهمية قراركم فليس المــاجور دافيوت موضـــــع محاكمة ، بل هو الذى يرفع قضية القذف هذه ، وهو يرفعها بعد انقضاء كل هذه الأشهر لانه فى الحقيقة فى محكمة أخرى وبين يدى قاض آخر فهو فىمحكمة انجلترا وبين يدى الشعب «الجمهور» .. الأمة التى يعمــل فى خدمتها ويتقاضى اجره منها عن هذه الخدمة والتى كان المدافع عنهــا .

« وقد استدعى هذين السيدين ليؤاخذهما علنا عن الاتهام الذى وجهاه اليه فى خلوة ، لأن هذا الاتهام اصبح ملكا للجمهور

« وقد حــدثت الوقائع كلها منــذ وقت طويل . وقيل ان المــاجور دافيوت ما كان ليدع الأمور تستقر حيث هى لو لم يكن مذنبا . ولكنى اعتقد انكم ستصلون الى نتيجة عكسية اذا وضعت جميع الحقائق المؤلمة بين أيديكم واعتقد انكم ستقتنعون بأنه لو

كان الماجور دافيوت غشاشا لشعر باضطراره لرفع قضية ضد متهميه على الفور واعتمد أن الشعور بالذنب وما يسفر عنه من احساس عدم الأمن كانا يجعلان من المستحيل عليه أن يلوذ بالصمت وأن يتجاهل التهمة ولو يوما واحدا . وزيادة على ذلك فانى اعتقد انكم تفهمون أنه لو كان الماجور دافيوت رجلا عاديا وبريئا من هذه التهمة — ولكنه أنانى وأغلبنا انانيون فكان يفكر فى نفسه أول ما يفكر ثم يفكر فى اصدقائه بعد ذلك — لأصر رغم براءته على الالتجاء للمحكمة . ولقد كان هذا بالفعل اول ما فكر فيه واندفع اليه . وكان هذا امرا طبيعيا ولا مفر منه من رجل برىء غاضب لمثل هذا الهجوم الشائن . ولكى نقدر مدى غضبه ومبلغ اهتمامه بتبرئة نفسه ، علينا ان نقدر مركزه كضابط فى الجيش وأن نتذكر التقاليد المجيدة لفرقة الفرسان التى ينتمى اليها . ولو ترك الماجور دافيوت لنفسه لما تردد لحظة فى اتخاذ إجراء ما ؛ ولكنه لم يترك لنفسه ، اذ لم يكن وحده فى تلك اللعبة ؛ بل كان معه اربعة من الأصدقاء الذين لهم قدرهم اثنان منهم اشتركا فى اللعب ، ومن بين الأصدقاء كما قلت من قبل ، ثلاثة مشهورون يفزعون طبعا من الفضائح . فأقنعوا الماجور دافيوت بعدم اتخاذ اجراء ضد الكابتن برادفورد ومستر جرانت منذ سنة مضت ، واقتنع هو لسببين أولهما رعاية لأصدقائه ، وثانيهما رعاية لسمعة فرقته ولا سبب آخر غير هذين .

« اهو الخوف من الفضيحة ! ؟ قد تسألون انفسكم كما سألت نفسى كثيرا وأنا ادرس هذه القضية لماذا اشتد خوف هؤلاء السادة من الفضيحة ؟ اى ضرر يمكن أن يلحق باللورد بونتفراكت أو مستر كاوبيت أو مستر سندرفورد ، اذا عرف أن صديقا حميما لهم قد اتهم ظلما بالغش فى لعب البوكر فى قصر ريفى كانوا قد ذهبوا اليه فى رحلة صيد ؟ هل يضايق العالم الآن أن يشترك رجل مثل مستر كاوبيت فى لعبة ورق مثل هذه فى بيت خاص لأنه عضو فى البرلمان ووزير سابق كيف يؤثر مثل هذا العمل فى سمعة محام لامع مثل سندرفورد الذى هو فى نفس

الوقت عضو بمجلس العموم ؟ ثم رب البيت «الداعى» لقد كان هو الآخر ضد اتخاذ الماجور دافيوت اى إجراء مثل رفع قضية ضد السيدين اللذين اتهماه بالغش ؟ ويستطيع المرء أن يقدر شعوره بالضيق اذ انفض الجمع اللطيف نتيجة مثل هذا الاتهام غير اللطيف . ولكن الأمر انتهى والتسوية تمت ؛ ولكن هذا كله لا يكفى أن يكون مبررا لتدمير حياة رجل . ولا أجد ابدا ضررا ما قد لحق بالسير بيرنارد روبر من جراء وقوع نزاع فى بيته بسبب لعب الورق .. ولكن عرف الآن أيها السادة والسيدات الضرر الدائم الذى اسفرت عنه هذه الفضيحة والذى ستظل تسفر عنه بعد أن ذاع أمرها . ذلك الضرر الذى لم يلحق أحدا سوى الماجور دافيوت ، لأن مركز السير بيرنارد روبر الكبير فى حى المال بلندن لن يتأثر وكرامة اللورد بونتفراكت لن تمس ومع ذلك كانا يخشيان الفضيحة .

وارضاء لهؤلاء الأصدقاء ظل الماجور دافيوت صامتا . ورد الأصدقاء على هذا الصنيع المنطوى على التضحية بأن اعلنوا اعتقادهم ببراءته واكدوا له انه لن يسمع احد ما شيئا عن هذا الموضوع أن وافق هو على تجاهله . وأنتم الذين ستقدرون ما اذا كان هؤلاء الأصدقاء قد وفوا بعهدهم .. فهل كان لديهم ما يبرر لهم تأكيدهم له انه لن يسمع أحد ما شيئا عن هذا الموضوع ؟ لا اعتقد هذا ؛ وربما بدا لكم انه كان أحمق عندما صدق ان القصة ستظل سرا . ولكم أن تتساءلوا كيف اعتقد مستر كاوبيت ومستر سندرفورد أن الأمر لن يذاع . صحيح انهما وعداه بكتمان السر . ولكن كان هناك ثمانية رجال وسيدتان فى البيت ، وكان هناك جميع خدم القصر وسائقو سيارات الضيوف وخدمهم وخادماتهم ، ويبلغ هؤلاء التابعين خمسة وعشرين ، ويضاف الى ذلك فتيان الصيد والسائسون والبستانيون ، هذا غير الذين فى خارج القصر . ولم يكن النزاع الذى ثار فى غرفة اللعب نزاعا صامتا . كما انه لم يكن عاليا الى درجة مجاوزة النوافذ والأبواب والجدران ، ولكنه تطرق الى الغرف الفسيحة بالطابق الأول من

القصر . وقد سمعته الليدى جينفر مونكسيتون واللورد بونتفراكت واللورد فريشووتر والسير بيرنارد روبر ، وكانوا يلعبون البريدج فى الغرفة المجاورة ، وأسرعوا بالانتقال الى الغرفة التى ثار فيها النزاع ليروا ما هنالك . واستطاع الصاعدون والهابطون على السلم والمارون بالبهو أن يسمعوا النزاع وأن يعرفوا شيئا عنه وفضلا عن ذلك فان الماجور دافيوت قد بارح القصر تلك الليلة نفسها . وأغراه أصدقاؤه بألا يتخذ اجراء ، ولكن لم يكن هنالك أحد مستطيعا اغراءه بقضاء ليلة أخرى مع الذين وجهوا اليه هذا الاتهام تحت سقف واحد ، ولهذا بارح البيت فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وقد نم سلوك الماجور دافيوت عن بساطته والبساطة فى حد ذاتها قد تكون دلالة ولكنها لن تكون برهانا على براءته . ولكنى سأوجز لكم أحداث الساعات الست والعشرين التى بدأت بوصول الماجور دافيوت الى قصر السير بيرنارد روبر الريفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من اكتوبر ١٩٢٩، وانتهت بمبارحة القصر فى الساعة الاولى بعد منتصف الليل فى اليوم التالى .

«جاء الماجور دافيوت بسيارته الى القصر قادما من هافرشوت حيث تعسكر فرقته يوم الجمعة ليلا ، ووصل فى الساعة الحادية عشرة فى وقت شراب الويسكى بالصودا قبل الذهاب الى الفراش ولم يكن يعرف رب البيت معرفة وثيقة ولكنه كان صديقا حميما للمستر كاوبيت . والماجور دافيوت بارع فى اصابة الهدف بل هو من أبرع رماة الرصاص فى انجلترا . ومنطقة بلومبتون ميد من أشهر مواطن الصيد . وهناك وجد كما قلت جماعة من أصدقائه القدماء . وكان اللورد بونتفراكت واللورد فريشووتر ومستر كاوبيت ومستر سندرفورد والكابتن برادفورد وزوجته والليدى جينفر مونكسيتون قد وصلوا قبله ، وكان يعرفهم جميعا ولم يكن بين الضيوف سوى رجل واحد غريب عليه هو مستر جون جرانت

» ولم يلعب أحد الورق تلك الليلة . وتفرق الجميع مبكرين ليستعدوا للصيد فى الصباح . وكانت رحلة الصيد موفقة جدا

كما يرجو كل من يذهب الى مثل هذه الرحلة ، وامتلأت الاكياس بما صاده القوم ، وشاركت السيدات السادة فى غذاء خلوى ؛ ثم غلب النعاس على السادة وهم فى مقاعدهم المريحة بعد شراب الشاى كما يفعل السـادة عادة بعد قضاء نهار طويل فى الهواء الطلق ، وقدم لهم طعام العشاء فى منتصف الساعة التاسـعة مساء فى جو تسوده الالفة والود وبعد تناول طعام العشاء جلس خمسة رجـال حول مائدة لعب الورق ليلعبوا البوكر ، وهؤلاء اللاعبون الخمسة هم مستر كاوبيت ومستر سندرفورد والكابتن برادفورد ومستر جرانت والماجور دافيوت .

« وتطور اللعب وخسر بعض السادة فى تلك الليلة كثيرا من المال أو كانوا يخسرونه لو انهم دفعوا ما استحق عليهم . واذا رايتم ايها السادة والسيدات ان قضاء جماعة من الرجال امسية تنتقل فيها بضع مئات الجنيهات من جيوب بعضهم الى جيوب البعض الآخر ، اذا رأيتم هذا نوعا من التسلية المريبة وافقتكم على هذا الرأى ، ولكن ليس من شأننا فى هذه المحكمة أن نتعرض لمـا هو خطأ أو صواب فى المقامرة ، وليس مطلوبا منكم أن تقرروا ما اذا كان من واجب المـاجور دافيوت أن يلعب البوكر أم لا ، بل أن تقرروا ما اذا كان لعبه نظيفا أم لا من واقع الأدلة ، وسيقول لكم هو انه تعود ان يلعب هذه اللعبة بمبالغ كبيرة ، وغالبا ما لعب بمثل هذه المبالغ من قبل مع اللورد فريشووتر ومستر سندرفورد ؛ وقد لعب احيانا بمثل هذه المبالغ مع الكابتن برادفورد ، بينما كان مستر جرانت الجديد على الماجور دافيوت ، شديد الحرص على الاشتراك فى اللعب الى حـد اضطر معه اللورد فريشووتر الى الانسحاب من اللعبـة والتخلى عن مكانه من المـائدة الى مستر جرانت .

« ولا ادرى ايها المحلفون من منكم قـدر له أن يلعب البوكر اما الذين لم يلعبوه منكم ولا يعرفوه فساشرح لهم طريقة لعبه ؛ واذا نجحت فى هذا الشرح عرفتم أنه يتطلب شيئا من المهارة ؛ والبوكر لعبة سخيفة لخسارة المال ؟ ولكنها ليست أشـد سخفا

من المراهنة على سباق الخيل أو سباق الكلاب . ولا تعتمد على الحظ وحده . فالبوكر لعبة صعبة ومعقدة . ولكي تكون ماهراً في لعب البوكر يجب ألا تكتفي بمعرفة قواعد اللعب بل يجب أن تعرف شيئاً عن طبيعة البشر ويجب أن تكون قادراً على تخمين ما يدور في خلد اللاعب الآخر ، ويجب ان تكون قادراً على اخفاء ما يدور في خلدك عنه . ولما كان اللعب مخاطرة مستمرة فلابد ان تكون لك اعصاب قوية . ولقد اكثرت من الكلام عنه لأن المعروف عن الماجور دافيوت انه لاعب بوكر من الطراز الأول . فلا يبعث على الدهشة اذن أنه بدأ يكسب على الفور في تلك الليلة وظل يكسب باطراد مدة ساعة حتى ألقى مستر جرانت بأوراقه على المائدة غاضباً بعد أن استمر يخسر طوال تلك الساعة واتهمه بأنه غشاش . ولكم أن تتصوروا هذه الجماعة .. خمسة من الرجال ، من المفروض أنهم يلعبون لعبة ودية عادلة ونظيفة في بيت خاص بعد أن قضوا يوما في رياضة بديعة ، ثم فجأة يتهم احدهم آخر بجريمة تنم عن الخسة والجبن ، لأن الغشاش مجرم ماكر جبان بل هو اشد مكرا من اللص الذى يقتحم البنك في منتصف الليل ويفتح خزانته ، بل هو اشد مهارة من القاتل الذى يدق راس ضحيته بمطرقة . ولكن الطريقة التى افترض أن الماجور دافيوت قد اتبعها في الغش لم تنم عن مهارة اطلاقاً بل كانت واضحة الى حد يدعو الى الاعتقاد بانه لا يتبعها الا احمق او مجنون .

● وسبق ان وصفت الماجور دافيوت بانه بسيط وهو رجل واضح وجندى لا يدعى البراعة الذهنية ولكن هناك حدود للبساطة حتى بساطة الجنود الذين هم على استعداد للموت في سبيل وطنهم أو لأن يوصفوا بالغش من اجل اصدقائهم . فليس الماجور دافيوت احمق وهو على مائدة اللعب ، بل هو لاعب ماهر سواء في لعب البوكر أم في لعب البريدج الى حد أن زملاءه في النوادى التى هو عضو فيها يعتبرون لعبهم معه نوعا من التكريم .

● وقد شهدت هذه المحاكم منذ اربعين عاما قضية صيد اتهم

بالغش في لعبة البكاراة ؟ وذلك بان اضاف الى المبالغ التي راهن بها مبالغ اخرى عندما رأى أن الورق المسحوب لصالحه .. اما الماجور دافيوت فقد اتهمه مستر جرانت بشيء أشد حماقة ووضوحا من هذا ، اي التقاط أوراق من فوق المنضدة وضمها الى الأوراق التي بيده بعد أن كان قد القاها عليها . وهذه طريقة اطفال لسرقة النقود من أصدقائهم . ومع ذلك فهذا هو ما اقسم مستر جرانت على أنه رآه وهو يفعله . ولكن هذا لم يكن اسوأ ما في الموضوع ؛ اذ عندما أنكر الماجور دافيوت ذلك واستدعى اللاعبين الثلاثة الآخرين لتأييده ، اذهل احدهم وهو الكابتن برادفورد الماجوردافيوت عندما أيد مستر جرانت ، بل لقد جاوز هذا الحد واعلن أنه كان يراقب الماجور دافيوت طول اللعب فرآه ثلاث مرات وهو يفعل ذلك .

« ويؤسفني ان اراني مضطرا لأن أقول لكم ان اللاعبين كانوا قد اكثروا من الشراب أثناء اللعب ، وسأثبت لكم ان مستر جرانت ظل يشرب الويسكي منذ تناول طعام العشاء ، وانه ظل يخسر مبالغ كبيرة من المال . وقضيتنا ضد مستر جرانت باختصار هي أنه تحت تأثير الشراب قد ارتكب غلطة هائلة عندما قال انه رأى الماجور دافيوت يلتقط الأوراق التي كان قد القى بها على المنضدة ».

وسيثبت الدليل ان مثل هذا القول لا يمكن أن يقال عن الكابتن برادفورد . ولسوء الحظ يستحيل أن يقال ، ان ما أدلى به من بيان كاذب انما كان تحت تأثير الخمر . فالضابط والسيد المهذب يشمئز من أن يصبح مخمورا ، ولكن هذه الحالة ليست في مثل سوء أشياء أخرى . فانت تستطيع ان تفيق بعد السكر وتصبح رجلا عاديا . اما ذلك الذي يحمل في صدره ضغينة على رجل آخر أعواما طويلة والذي يحفظ في صدره شكوى صغيرة حتى تصبح حقدا وكراهية يخفيهما مظهرا الود حتى يجد الفرصة مواتية للانتقام بتدمير حياة الرجل الآخر ، فان مثل هذا الرجل لا يسر المرء أن يعرفه أو يلتقي به في أي وقت . وهذا هو رأينا في الكابتن برادفورد . وسابين لكم أن الكابتن برادفورد كان يحمل في صدره

حقدا على الماجور دافيوت بسبب بعض أمور وقعت فى الفرقة ؟ وظل ينمى هذا الحقد سرا ضد موكلى سنوات طويلة وانه انتهز هذه الفرصة لتحطيمه فى تلك الليلة .

« وقلت لكم باختصار ماذا حدث بعد ذلك . وسيقول لكم الماجور دافيوت المزيد من التفصيلات عندما يجلس على مقعد الشهود للدفاع عن نفسه ضد هذه الكذبة الفاجرة الغادرة وبودى ان اضيف أن أصدقاء الماجور دافيوت قد اقنعوه كما قلت بعدم رفع قضية ضد متهميه . وسأستدعى اللورد بونتفراكت ومستر كاوبيت ومستر سندرفورد لكى يقولوا لكم كيف أقنعوه بالتغاضى عن الاهانة ، وبارح القصر تلك الليلة معتقدا أن الأمر قد انتهى ولكنه لم يكن سعيدا بذلك . وكيف له أن يكون سعيدا ؟ لقد اتهم بالغش فى لعب الورق وحرم نفسه تلك الليلة حتى كشف هذين الشخصين علنا ، وذلك ليخلص اصدقاءه من الأحاديث التى تكثر ان هو رفع قضية .

« وتستطيعون أن تتصوروا الشكوك التى ساورته عندما قلب الموضوع فى خاطره . وكان لهذه الشكوك ما يبررها . فقد ذاع أمر القصة كما كان يجب أن تذاع . فقد تحدث البعض ، ولا يعنينا من ذلك الذى تحدث . ولنلجأ الى الفهم السليم الذى يبدو أن الماجور دافيوت قد حرم منه ، ولنعترف بأن ماحدث لم يكن منه مفر . وقد ابتلع الاهانة وهرب فيما يبدو من رجلين طعنا شرفه واعتقد أنه يستطيع المضى فى حياته كما لو لم يكن قد حدث شىء ، واعتقد أن الأمر قد انتهى ، واعتقد انه لن يسمع به احد ، وانه اذا حدث أن سمع به أحد فان أصدقاءه سيستطيعون الدفاع عنه . وهو اعتقاد احمق . فان منطقا كهذا وثقة كهذه انما هما من عمل أحمق أن شئتم ، ولكنه أحمق برىء . لقد كان من الحماقة أن يصدق الماجور دافيوت انه يستطيع المضى فى حياته فى الفرقة جنبا الى جنب مع الكابتن برادفورد ، وأن يظن أنه لن يسمع احد بالنزاع الذى وقع أو انه اذا سمع به أحد فان الرجال الذين نصحوه بألا يفعل شيئا سيستطيعون اسكات أى همس أو وشاية . ولكن كيف

يستطيعون ذلك ؟ انهم حتى لو بذلوا قصارى جهدهم لا يستطيعون
فكيف يستطيع أى انسان أن يعتصر اية همسة بيده ؟ وارى انكم
ستجدون أن مستر كاوبيت ومستر سندرفورد لم يبذلا قصارى
جهدهما للدفاع عن الماجور دافيوت . ولكنهما رجلان مشغولان
عليهما عدة واجبات . وأعترف بأن الماجور دافيوت لم يجعل الأمر
سهلا عليهما . وسيحدثكم هو عن ذلك . وسيعترف فيما ارجو
بأنه كان احمق ازاء هذين الصديقين مستر كاوبيت ومستر
سندرفورد ، اذ لم يتح لهما فرصة تأييده . ولكن لنفرض أنه ذهب
اليهما وتوسل اليهما أن يدافعا عنه ، انه لم يفعل ذلك لأن الهمس
خبيث أملس قاتل كالحية ذات الأجراس . لاتستطيعون امساكه
وخنقه ، وهو لا يظهر عيانا . وكان الماجور دافيوت آخر من سمع
ما قيل عنه .

« وانقضت عدة أشهر ثم بدأ يشك فى أنه أصبح موضع اغتياب ،
وحتى فى ذلك الوقت لم يكن هناك شىء يستطيع أن يضع اصبعه
عليه ، واستمر الأمر كذلك حتى استدعاه رئيسه الكولونيل وقال
له انه سمع القصة . وطلب منه أن يذكر له الحقائق . وقدم
الماجور دافيوت له هذه الحقائق . وقال له الحقيقة وهى نفس
الحقيقة التى سيقولها لكم وهو على كرسى الشهود . وفسر
للكولونيل لماذا لم يرفع قضية ضد الرجلين اللذين اتهماه هذا
الاتهام . ومن أجل صديقيه ومن أجل الفرقة التى ينتمى اليها لم
يفعل شيئا . وتقبل رئيسه الأمرين معا وهما ما ادلى به من بيان
عما وقع وما فسر به سبب قراره التجاوز عن الموضوع كله . ولم
يشك الرئيس فى براءته ولا فى دوافعه التى دفعته الى الصمت بل
أن الكولونيل ستانديسن تجاوز ذلك الى أن يطلب من الماجور دافيوت
عدم عرض الموضوع على المحاكم . ولا أدرى ان كان مصيبا فى هذا
الطلب ام لا . ثم طلب من الماجور دافيوت أن يدع له مهمة محاسبة
الكابتن برادفورد وبعبارة اخرى أن الكولونيل فكر فى الفرقة أولا
ثم فى الماجور دافيوت ثانيا . ولا تلوموه لهذا . ونفس الشاكى لم

علمه لهذا . بل وافق على أن يدع الامر حيث هو حتى يرى الكولونيل ماذا يجب عمله .

« ولكن الأوان كان قد فات . اذ تلقى الماجور دافيوت رسالة من مستر كاوبيت بعد انقضاء بضعة أيام من المقابلة التى تمت بين الماجور دافيوت ورئيسه الكولونيل ستانديسن جعلت من المستحيل عليه أن يفعل شيئا غير رفع قضية قذف . وسأقرأ عليكم الرسالة وهى مكتوبة فى نادى بلاك وتاريخها ٢٥ يونيو وقد جاء فيها .

« عزيزى دافيوت ..

اكتب لك هذا لأقول لك ان قصة لعبة البوكر التى لعبناها قد ذاع امرها وانتشرت فى كل مكان وان لجنة ادارة النادى ستجتمع فى اوائل الشهر القادم لبحث موضوع عضويتك فى النادى وقد بحثت هذا الموضوع مع سندرفورد ونحن نريد أن نؤكد لك تأييدنا لك ان أنت فكرت فى رفع قضية . تفضل باستدعائنا ان وجدت اننا نستطيع مساعدتك .

المخلص « كاوبيت »

« وعلى الفور حمل الماجور دافيوت هذه الرسالة الى الكولونيل وطلب اجازة لأمر خاص وعاجل واتصل بمحاميه . وفى أوائل شهر يوليو الماضى ابلغ المتهمان أنهما سيستدعيان الى المحكمة لمحاسبتهما عن الاتهامات التى وجهاها ليلة السبت تلك منذ أكثر من عام . ونحن الآن فى شهر نوفمبر . واعتقد أن الحقيقة سوف تمحص الآن فى هذه المحكمة وأن العدل سوف يأخذ مجراه لصالح موكلى .

« والماجور دافيوت لايطلب تعويضا عن الأضرار التى لحقت به . فليس هناك اى قدر من المال يمكن أن يعوض الأضرار التى الحقها به هذان الرجلان وكل ما يطلبه هو رد مصاريف القضية التى تكلفها اليه . فاذا اعتقدتم انه برىء فان مستر جرانت لن يخرج من قاعة المحكمة اسوأ حالا منه عندما دخلها وعقوبته الوحيدة هى فى علمه أنه لم يستطع ان يصلح خطأ او يعوض اهانة مخزية . أما حالة

الكابتن برادفورد فهى على منوال آخر . ذلك أنه لم يرتكب خطأ بسيطا بريئا بل فعل مافعله بروية وخبث . وسيحاسبه الجيش »
« ولقد وصفت هذا الحادث الذى وقع فى عطلة نهاية الاسبوع بانه مأساة لأنه حرم الماجور دافيوت من رأيه الطيب فى العالم الذى بدا له مستعدا لادانة الرجل الذى لا يدافع عن نفسه . ولكنه يدافع عن نفسه الآن . وقد مثل أمامكم الآن ليدحض علنا ماتهامس به الآخرون فى كل مكان ضده . فى النوادى وفى غرف الاستقبال وفى المطاعم وفى ميادين السباق وفى مطاعم معسكرات الجيش . فاذا لم يستطع أن يدحض ذلك كله هنا فى هذه المحكمة المدنيه واذا انقلبت هذه القضية ضده حوكم أمام المحكمة العسكرية وطرد من الجيش وحل به العار طول حياته .

« انه كما قلت لايحاكم بتهمة قتل بل اتهم فقط بسرقة المال تحت ستار لعبة ورق ودية ، ولكنى أرى وانا أعرف الرجل جيدا أرى أنه يفضل أن يشنق على أن يخرج من هذه المحكمة وقد وسم بأنه غشاش » .

- ٢ -

وكان الشاكى رجلا ضخما عريض المنكبين اسمر شعر الراس ناعمه مهذب الشارب . واتجهت اليه الانظار عندما وقف على قدميه وصعد السلم الى منصة الشهود بهدوء حيث وقف مستندا بيديه الى الحاجز ، وانتظر رافع الراس يحدق النظر فيما امامه . وكان القاضى منشغلا بالكتابة فلم يرفع رأسه ، ولم يهتم المحامون بمظهره وهم الذين قضوا عدة أشهر فى فحص ماضيه وفى التنبؤ بمستقبله الحزين ، أما بقية الجالسين فى قاعة المحكمة فقد وجهوا اليه نظرات الفضول . وكان بداهة رجلا اجتماعيلا وجنديا ، وكان عليه طابع فرقة الفرسان . وربما كان رياضيا فى شبابه . أما الآن فقد ثقل وزنه بعض الشىء ومع ذلك فقد ظل من ذلك الطراز من الرجال الذى تتطلع اليه النساء الخبيرات بالرجال باهتمام فهو متناسق الاعضاء جيد الملامح وكانت يداه جميلتين فيهما قوة وحساسية .

وكان فى عينيه بريق عجيب ، أما بقية ملامح وجهه فلم تكن تعبر عن شيء قط .

ثم ردد القسم بصوت جاف « اقسم بالله القدير ..... »

وأعاد الكتاب المقدس الذى أقسم عليه واعتدل فى جلسته وحدق النظر امامه وانتظر ، وكان واضحا مايبذله من جهد فى هذا الموقف الذى يعرض فيه نفسه لفضول العالم .

وواجه محاميه وهو متجهم الوجه . ودفع السير اوستاس كننجهام محامى الكابتن برادفورد وجهه عن مجموعة الأوراق التى بين يديه وخلع منظاره وحملق فى الفضاء ، وأخذ مستر جرين محامى مستر جرانت يفحص أوراقه . وحاول المدعى عليهما أن يبدوا وكانما الأمر لايعنيهما . فمستر جرانت الشاب المتورد الوجنتين الممتلىء بدانة واللامع الشعر مثال رجل الأعمال الناجح بثيابه الأنيقة الغالية ، والكابتن برادفورد عقد مابين ذراعيه ومال برأسه الى الاسفل وهمس ببضع كلمات لزوجته الجالسة الى يساره ، وهو رجل اسمر الشعر غائر الخدين نفاذ النظرات فى عينيه خطورة . وكان ما همس به لها هو « لم تعودى تتصورين ذلك الرجل الجالس هناك الآن اليس كذلك ؟ » . ولم ترد عليه بشيء وكان وجهها الذى هو على شكل القلب قد ظل ساكنا ، واتجهت نظراتها الى القاضى وانفرجت شفتاها وأخذ صدرها يعلو ويهبط بشكل ملحوظ .

وقال الماجور دافيوت ردا على اسئلة محاميه انه ضابط وفى الرابعة والأربعين من عمره ، وقضى من حياته خمسة وعشرين عاما فى خدمة الجيش ، وانه خدم بلاده أثناء الحرب خارج هذه البلاد فى اقليم الفلاندرز ثم فى حوض السوم ، واشترك فى كثير من القتال بعدة جبهات ، وقد أصيب بجراح فى بعض المعارك ، وكانت اصابته خطيرة فى ثلاث منها فقد أصابت رصاصة كبده كما اصابت شظية قنبلة معدته واصيب مرفقه بكسر . وان كل هذه الاصابات مسجلة فى التقارير العسكرية وانه نال وسامين .

وكان الحوار عجيبا فالأسئلة حادة سريعة تنم عن احتقار والأجوبة قصيرة جافة على وتيرة واحدة . وكان سلوك المحامى يدل

على أنه يكره الشاكى وكل ما يمثله . لم ير شيئًا ذا بال فى شجاعته فى ميدان القتال ولا فى قوة احتماله . وكانت رودد الشاكى تدل على انه يوافقه فى هذا الموقف منه .

ولم يبد على القاضى أنه ينصت وكان فى ضآلته وهو يدور بعينيه فى قاعة المحكمة كعصفور فى ثوب تنكرى . وكان هذا القاضى أعزب يقضى وقت فراغه فى عزلة سواء فى مكتبته أم فى حديقته ، وقد ضايقه أن يرى قاعة المحكمة مزدحمة بهذا اللون من الناس الذين كان يكن لهم احتقارا حاصا . هذا اللون من الناس الذى يضم المتأنقين هواة السباق ، والنساء الطويلات الأعناق اللواتى اشترين ملامحهن من متاجر غالية لمقاومة كل انواع الطقس ، والرجال الريفيين ذوى الضياع الواسعة والذين تنطق ملامحهم بالغرور وهم يحتلون المقاعد الأمامية فاضطر الباقون الى الاكتفاء بالمقاعد الخلفية . فالقضية قضية فضيحة فى الطبقة الراقية وهى سلوى لطيفة للاغنياء المتعطلين ولكنها قضية غير مقبولة عنده . اذ هى من ذلك النوع من القضايا الذى ليس فيه برهان مباشر ولا وقائع يمكن اثباتها بل مجرد أحاسيس ومشاعر ونزعات واحتمالات . قضية ذلك التركيب الغامض من الاشتهاء والخوف والعادة الذى يتكون منه مايسمى بالبشر . قضية كلمة يقولها انسان ضد اثنين . رجل يقسم على انه لم يغش فى اللعب ورجلان يقسمان على أنهما شهداه وهو يغش ورائحة كريهة تنتشر فى أرجاء قاعة المحكمة هى رائحة المال .

المال . أنهم ثلاثة من مبذرى المال اثاروا ضجة بشأن المال ! وهناك جماعة من المواطنين الصالحين الحريصين على اموالهم ومتاعهم ، جمع أفرادها لاصدار حكمهم على هؤلاء الثلاثة . هذه هى جماعة المحلفين . ونقل القاضى تروتر نظراته من الاثنى عشر محلفا الجالسين الى يساره الى جماعة المتأنقين الجالسين امامه وتساءل بينه وبين نفسه عما اذا كان هؤلاء المحلفون الذين استدعوا لحضور هذه القضية سيستطيعون فهم المشاكل التى تدور حولها القضية . لقد أحسن المحامى صنعا حين قال لهم ، انه ليس من شانهم أن يقرروا مافى المقامرة من خطأ أو صواب . وكيف يمكن بحق السماء

ان تنتظر من هؤلاء المواطنين الذين يخافون الله ويؤدون صلاتهم في مواعيدها أن يتخلوا عن مثلهم العليا واخلاقياتهم فينظروا الى ثلاثة من المقامرين بعين محايدة ؟ وعاد القاضي ينظر الى الشاكي .

واستمر استجواب الشاكي

وقال في اجوبته : انه يحب لعب الورق وانه يلعبه كثيرا واغلب الألعاب التي يلعبها البوكر ، وهو يلعب أنواعا أخرى من لعب الورق في ميس الضباط بالفرقة ، أما لعبة البوكر ففير مصرح بها هناك وذلك لأنها لعبة مقامرة حقيقية .

وقال انه يعتبر خارج الفرقـة من امهر لاعبي البوكر . وانه يقامر بمبالغ كبيرة أثناء اللعب في النوادي ، وان متوسط مايكسبه أو يخسره في الأمسية حول الأربعين جنيها ، ولكنه أحيانا قد يبلغ مكسبه الف جنيه كما حدث أثناء سهرة في بيت اللورد فريشووتر بشارع جيرمين . وهذا مبلغ كبير حقا في لعبة ودية كهذه وكان ذلك منـذ عامين .

وسأل المحامي عمـا اذا كان مستر سندرفورد قد حضر تلك اللعبة فأجاب « نعم » وعما اذا كان سندرفورد صديقا له فاجاب بالايجاب وقال الماجور دافيوت ردا على أسئلة أخرى بانه غالبا ما لعب معه الورق .

وأجاب الماجور دافيوت ردا على اسئلة المحامي بشأن اللورد فريشووتر بان اللورد صديق حميم له ، وانه غالبا ما يقيم حفلات لعب البوكر في قصره بشارع جيرمين ، وانه غالبا مالعب هناك معه بمراهنات ضخمة ايضا .

وقال الماجور دافيوت انه لم يسبق لأحد أن انتقد لعب البوكر في اية حفلة من حفلات لعب البوكر . وانه لم يحدث قط أن وجدت صعوبة في تصفية اية لعبة عند انتهائها وانه لم يحدث ان خسر كثيرا وهو جالس الى مائدة اللعب .

وقال دافيوت انه يلعب الورق في عدة أماكن في ميس فرقته وفي النوادي التي هو عضو فيها وفي بيت اللورد فريشووتر وكذلك

فى أماكن أخرى حيث تجمعه الظروف بناس آخرين ولم يحدث قط أن انتقد أحد طريقته فى اللعب .

ثم شرب المحامى جرعة ماء . وعاد الى موضوع ذلك الحفل الذى أقيم فى القصر الريفى وقال :

« لقد قدت سيارتك من مقر فرقتك فى هافرشوت ووصلت الى قصر السير بيرنارد روبر قرابة الساعة الحادية عشرة من مساء الجمعة . فهل هذا صحيح ؟ »

« نعم » .

« وهل كان الضيوف الآخرون قد وصلوا ؟ » .

« نعم » .

وذكر المحامى اسماء الضيوف وهم اللورد بونتفراكت واللورد فريشووتر ومستر كاوبيت ومستر سندرفورد والليدى جينفر مونكسيتون والكابتن بادفورد وزوجته ومستر جرانت واقر الماجور دافيوت هذه القائمة .

كما وافق الماجور دافيوت على انه لم يكن يعرف رب البيت ؛ ولكنه لم يندهش عندما تلقى بطاقة الدعوة منه ؛ لأن اللورد فريشووتر كان قد قال له ان السير بيرنارد اراد دعوته وأنه أنابه عنه فى توجيه الدعوة . وقال ان اللورد فريشووتر كان على علاقة وطيدة بالسير بيرنارد روبر .

وبرر الماجور دافيوت قبوله الدعوه رغم عدم معرفته الداعى بانه كان يعلم أن الرحلة رحلة صيد طيبة وأنه سيجد هناك أصدقاءه .

وقال انه لم يكن يعرف مستر جرانت ، فهو لم يقابله من قبل تلك الليلة بل انه لم يسمع به من قبل ولا هو تعامل معه فى حى المال بلندن . أما بقية الضيوف فقد كان يعرفهم جميعا سيدات ورجالا وأن مستر كاوبيت كان صديقا قديما وكان زميلا له فى كلية ايتون فذهب الماجور دافيوت الى الكلية الحربية بعد اتمام دراسته فى ايتون ودخل كاوبيت المجال السياسى ولكنهما ظلا صديقين متوادين .

وقال الماجور دافيوت انه يعرف زوجة كاوبيت وابناءه وكان احيانا يقضي بعض الأوقات معهم .

وقال انه كان يتتبع تقدم كاوبيت باعجاب وكان يراه نافعا في وظائفه التى يشغلها فى مجلس الوزراء وفى الحياة العامة .

وسأله المحامى « هل اذا استطعت أن تسبب له حرجا فى الحياة العامة فهل تفعل ذلك راضيا ؟ » .

« كـلا » ..

ثم سأله المحامى « هل ينطبق هذا على سندرفورد ؟ » .

« نعم » ..

« هل ترى خدماته نافعة للدولة ؟ » .

« نعم » ..

« هل اذا رأيت انك تستطيع الاضرار به بعمل تقوم به فهـل يمكن ان تفعل ذلك ؟ » .

« ابـدا » ..

« منذ متى تعرف الليدى جينفر مونكسيتون ؟ » .

« منذ زواجها فى عام ١٩١٩ » .

« هل هى صديقة زوجتك ؟ » .

« نعم .. وكانتا زميلتى دراسة » .

وقال الماجور دافيوت أن الجنرال مونكسيتون لم يحضر ذلك الحفل بل كان مشغولا فى حفل آخر بالفرقة .

وقال انه عمل تحت قيادة الجنرال مونكسيتون خلال الحرب وانه يرى فيه انه قائد من الطراز الأول ، وان العمـل معه ليس سهلا كل السهولة بمعنى أنه دائما يطلب القيام باعمال مستحيلة ؛ ومع ذلك كانت هذه الاعمال تتحقق . وانه رشحه لنيل أحد الأوسمة وقد ناله .

وقال الماجور دافيوت انه كان يعرف اللورد بونتفراكت طول حياته ، وانه كثيرا ما زاره فى قصره ، وهناك التقى لأول مرة بالسيدة التى تزوج منها فيما بعـد ، بل وقد تم زواجـه فى بيت اللورد بونتفراكت فى لندن .

وقال دافيوت أن الدعوة وجهت الى زوجته هي الأخرى لحضور الحفل ولكنها لم تستطع تلبية الدعوة بسبب أوامر الطبيب التي اقتضت سفرها الى نيوزيلاند .

وقال المحامي « اذن فانت كنت وحدك في قصر السير بيرنارد ووجدت كل هؤلاء القوم مجتمعين وهم جميعا اصدقاء حميمون لك فيما عدا رب البيت ومستر جرانت . هل هذا صحيح ؟ » .

« لا أستطيع أن اصف الكابتن برادفورد بأنه صديق قديم » .

وقال دافيوت ان الكابتن برادفورد التحق بالفرقة في عام ١٩١٧ اثناء الحرب وقضيا معا اثنى عشر عاما ، ومع ذلك فلم يصبحا صديقين حميمين ، وذلك لأن الماجور دافيوت كان كلما ازداد معرفة بالكابتن برادفورد قلت محبته له ، ذلك لأنه لم يكن من ذلك الطراز من الضباط الذين ترحب بانضمامهم الى الفرقة اثناء السلم . اما اثناء الحرب فلم يكن لمثل هذه الاعتبارات وجود . وقد احسن صنعا أثناء القتال فأحبه دافيوت ؛ أما بعد الحرب فقد بدات كراهيته له واسف كثيرا لبقائه في الفرقة لأنه لم يكن من ذلك الرجال الذين ترحب الفرقة بوجودهم بين ضباطها ، اذ كان غاية في الثراء ومتلافا . ولم يكن هذا وحده سر كراهيته له ؛ بل كانت هناك أسباب أخرى تقوى من هذه الكراهية . منها انه كثير التهجم عليه وعلى الضباط الآخرين وخاصة عندما اصبح دافيوت وكيل الفرقة ورئيسا للكابتن برادفورد .

واستطرد دافيوت يقول عن سلوك برادفورد كضابط يعمل تحت أمرة الماجور دافيوت ، انه سلوك سيء فيه شراسة وغرور وكان يسيء معاملة الجنود والجياد ، وكثيرا مانبهته الى هذا وفي مناسبات متعددة . ومن هذه المناسبات أبرزها . وكانت بعيدة عن الفرقة ، وكانت في حظيرة جياد الكابتن برادفورد الخاصة اثناء رحلة صيد ؛ اذ وجده يضرب جواده على رأسه بعنف لأن الجواد كان قد اوقعه عن ظهره ، وبدا للماجور دافيوت انه على وشك أن يقتل الجواد فأوقفه عن الاستمرار في ضرب الحيوان . وذلك بأن

أمسك عنق برادفورد وأمر الآخرين بابعاد الجواد عن متناول يده ، وغضب برادفورد من هذا التدخل .

وكان ذلك في عام ١٩٢٦ أي بعد عودتهما من الهند بعام . وكان الماجور دافيوت يسكن في بيت مجاور لبيت الكابتن برادفورد وراه وهو يدخل حظيرة جياده فجاء اليه يكلمه . ولكنه لم يبلغ الأمر للكولونيل قائد الفرقة . ولم يتكرر مثل هذا الحادث بعد ذلك . ولم يحدث أن اشار هو أو الكابتن برادفورد الى الحادث بكلمة . ولكن كانت هناك دائما فرص للاحتكاك بين الرجلين . وكان برادفورد قد تزوج حديثا واقام هو وزوجته بجوار مسكن الماجور دافيوت في هافرشوت .

وقال الماجور دافيوت ان زوجته أظهرت شيئا من الود لزوجة الكابتن برادفورد عندما تجاورتا في السكن ولم يكن يفصل البيتين أحدهما عن الآخر سوى حاجز صغير من الشجيرات . وكان من عادة الاسرتين التزاور وحسن الجوار ، ولم تؤثر الحادثة التي وقعت فيحظيرة الجياد فيهذا السلوك الأسرى فيظاهر الأمر على الاقل ، اذ استمر التزاور والمشاركة في مآدب العشاء ولم يخطر ببال الماجور دافيوت انالكابتن برادفورد يحمل له اية ضغينةعندما ذهب الى السير بيرنارد روبر في قصره تلبية لدعوته ، اذ لم تحدث سوى احتكاكات بسيطة بين الاثنين ، وكان بينهما سلوك مهذب ، وعندما التقيا في قصر السير بيرنارد لم يكن في سلوك برادفورد شيء أكثر مما تعوده منه ، وكان كلاهما في ذلك الحفل مهذبا نحو الآخر .

ولم يلعبوا الورق في الليلة الأولى من وصولهم ، بل آووا الى أسرتهم مبكرين ، لأنه كان هناك صيد يوم السبت وقضوا يوما سعيدا . وعندما جلسوا الى مائدة العشاء بدا الأمر كله طبيعيا للكابتن برادفورد ، وتناولوا عشاء طيبا وشربوا شرابا طيبا مع العشاء وكان الشراب وفيرا . وكان الكثيرون يشربون الشمبانيا بينما كان الكابتن برادفورد يفضل البيرة ومستر جرانت يشرب الويسكي بالصودا القليلة. وقد أكثر جرانت منشراب الويسكي وخاصةأثناء

لعب البوكر الذى أستمر قرابة ساعة ، اذ بدأ اللعب فى منتصف الساعة الحادية عشرة وتوقف فى منتصف الساعة الثانية عشرة .

ثم سأل المحامى الماجور دافيوت عما أوقف اللعب فأجاب بأن مستر جرانت وقف على قدميه واتهمه بالغش وقلب المائدة ولم يستمر اللعب بعد ذلك .

وكان الماجور دافيوت قبل ذلك قد جلس الى مائدة اللعب عقب مبارحة غرفة المائدة حيث تناولوا جميعا طعام العشاء وقد تخلله شراب كثير ولم يرفض احد الشراب سوى اللورد بونتفراكت. وظلوا جميعا فيما عدا اللورد بونتفراكت يشربون منذ منتصف الساعة التاسعة حتى منتصف الساعة الثانية عشرة ، أما الماجور دافيوت نفسه فلم يكثر من الشراب لأنه يحب الاحتفاظ بصفاء الذهن أثناء اللعب .

وسأله المحامى كيف بدأ لعب البوكر بعد العشاء وهناك سيدتان وخمسة من السادة ، واجاب الماجور دافيوت بأن مائدة اللعب كانت معدة من قبل ، وربما كان السير بيرنارد هو الذى قام باعدادها .

وكانوا ستة اشخاص وثارت مناقشة حول من يتنازل من الستة عن اللعب ليبقى خمسة لاعبين . أما الستة أشخاص فهم اللورد فريشووتر ومستر كاوبيت ومستر سندرفورد والكابتن برادفورد ومستر جرانت والماجور دافيوت . وقد سبق للجميع أن اشتركوا معا فى لعب البوكر فيما عدا مستر جرانت ، ولم يشأ مستر جرانت أن يتطوع بالانسحاب . وعندئذ اقترح الماجور دافيوت أن يلعبوا البريدج بدلا من البوكر ، ولكن اللورد فريشووتر قال انه سيعد لعبة البريدج لأربعة هم الليدى جينفر مونكستون واللورد بونتفراكت والسير بيرنارد واللورد فريشووتر نفسه .

أما مسز برادفورد فقد فضلت مراقبة لعبة البوكر .

وهكذا جلس خمسة لاعبين للعب هم مستر كاوبيت ومستر سندرفورد والكابتن برادفورد ومستر جرانت والماجور دافيوت.

ثم سأل المحامى عما اذا كان كاوبيت وشنذرفورد قد اظهرا شيئا من التردد فى الاشتراك فى اللعب ؟ وأجاب دافيوت بانهما لم يترددا .

ثم سأله عما اذا كان قد خطر بباله انه لم يكن لائقا بأن يلعب وزيران سابقان وهما عضوان بارزان فى الحزب المعارض لعبة بوكر فيها رهان كبير الى هذا الحد . فأجاب بأن ذلك لم يخطر بباله وقتئذ .

وعاد المحامى يسأله عما اذا كان قد خطر بباله ان مثل هذه اللعبة لو شاع امرها لكان ذلك مأخذا يؤخذ على المشتركين فيها .

وأجاب دافيوت بأن هـذا لم يخطر بباله الا عنـدما حدثت الضجة وطلب اليه صديقاه الاحتفاظ بالسر .

- ٣ -

وكانت القضية المعروضة على القاضى تروتر قصيه فضيحـة او الخوف من الفضيحة الخاصة بضجة أثيرت حـول منضـدة لعب الورق بين قوم من البارزين فى المجتمـع والذين ترتعـد فرائصهم الآن امامه ، ولا شـك أن الفضيحة قد حلت بهم بعد أن اهوى صديقهم الماجور دافيوت بالسقف فوقهم بدافع الانتقام .

ولم يكن القاضى تروتر على علم بالحياة فى معسكرات الجيش ولكنه تصورها فى مجموعة من البيوت البسيطة الممتدة على أحد جانبى طريق تظلله الأشجار ويمتد حتى المعسكر فى هافرشوت . ووراءها الملاعب الرياضية والحظائر ، وبين كل بيت والبيت الذى يجاوره سور من الشجيرات القصـيرة والأعشـاب ، وفى بيتين متجاورين منها يعيش ضـابطان يحتقر كلاهما الآخر ، وكلاهما يعيش مع زوجته المحترمة وخدمه من الجنود .اما الماجور دافيوت فقد كان له اصدقاء خارج المعسكر ولم يقصر نفسه على القيـام بواجباته فى المعسكر والمباهج البسيطة فى تلك البيئة العسكرية .

وتطلع القاضى تروتر نحو اللورد بونتفراكت بشاربه المفتول وملامحه الصارمة واديم وجهه الأحمر . ثم تطلع نحو وليام كاوبيت وجبينه

العريض المشهور وفمــه الذى ينم عن الاكتئاب ونحو تشــارلز سندرفورد بوجهه الساخر ونظراته التى يوجههـا نحـو سقف المحكمة ، وتساءل . ماذا يفعل هذان الاثنان « ويليام وتشارلز » هنا . أما كان من الواجب أن يكونا فى هذه اللحظة بالبرلمان فى المقاعد الأمامية من صفوف المعارضة . انه من المحتمل كل الاحتمال بعد هذه القضية الا يشتركا فى الوزارة القادمة . ولكن هذا امر مؤسف ، فان كاوبيت سياسى بارع تشتد حاجة البلاد اليه ، وفضلا عن ذلك فهو متصف بالشجاعة وبعد النظر ولا يتحاشى المسئولية. بينما سندرفورد اهل لكى يكون وزيرا رغم أنفه مالم يدمن الشراب حتى يقضى عليه أو تقضى عليه فضيحة كبرى بشأن امرأة مستهترة وكان القاضى تروتر يعرف الكثير عن سندرفورد معرفة ثقـة ، ويعرف أنه يقضى نصف وقته فى الشراب ، ومع ذلك فانه لايمكن أن يتطرق الشك الى صفاء ذهنه أو براعته فى علاج الأمور . ويعرف عنه كذلك ان امرأة قد انتحرت بسببه وان امرأة أخرى قد عبرت المحيط الاطلنطى وراءه عندما ذهب الى الولايات المتحدة ضيفـا على نقابة المحامين فيها . وبالرغم من كل ذلك لم تمسسه شبهه. فكيف مثل فى هــذه القاعة امامه وفى قضية كهذه ؟ واستطاع القاضى أن يتصوره جالسا الى مائدة اللعب يرفع كأسه وهو يرقب أوراقه بهدوء ثم وهو يرى امواله تذهب من أمامه الى الجوانب الأخرى .

ولم يكن القاضى تروتر بالذى ينظر نظرة طبقية الى اطراف الدعوى . ولـكنه كـذلك لم يكن يحب الانســانية .. وهنـاك من يؤكدون أن هذا القاضى كان خاليا من اى شعور . ولكن هـذا غير صحيح اذ أن الرجـــل كان منشغل الخـاطر بشأن ضعف الهيئات العامة ، وكان يرى بين السلـوك الفعلى للبشر كمـا رآه يعرض عليه فى قاعة المحكمة وما يجب أن يكون عليـه مستـوى السلوك فى رأيه هوة كبيرة من الاختلاف الى حد دفعه الى الكف عن الاهتمام بدراسة الشخصيات وطبائع البشر . ولكنه كان شديد الغيرة على جلال القانون وشرف الخدمة العسكرية ومسئوليات

الحكومات المتتابعة في بريطانيا . ومما زاد من شعور الغيرة على هذه الأشياء عنده عدم ثقته بالنـاس الذين يشغلون كل هـذه المراكز . ولم يكن يدهشه أن جماعة من الناس الأثرياء المتعطلين أخذت تتسلى بنقل الأموال من جيوب بعضهم الى جيوب البعض الآخر فقط ، بل كان يراه حمقا . وكان يرى في المقامرة مجافاة للخلق القويم ، وخاصة في عهد تتولى الحكم فيه حكومة من حزب العمال ، ويتزايد فيـه عـدد العاطلين وتتزايد فيـه مصروفات الحكومة ، بينما يزداد الكسـاد في العالم . أما شرب الخمر في مثل هذه الاجتماعات فهو عنده الأمر الذي لايتوقع سـواه من امثال هؤلاء الناس المتعطلين . ولكن هؤلاء القوم ليسـوا متعطلين ولا هم حمقى . ولذلك أدهشه أن يرى بين يديه ويليـام كاوبيت وتشارلز سندرفورد كشاهدين في قضية فضيحة خاصة بلعب القمار . وكيف يتسليان بلعب القمار كالأطفال ؟ وكيف يلعبان هذه اللعبة السخيفة بمبالغ طائلة ؟ والبلادمدينة بالكثير لويليام كاوبيت الذي طالما خدمها أثنـاء توليه المناصب الحكومية وخارج هـذه المناصب ، وسندرفورد رجل القانون البارع . أما اللورد بونتفراكت فما شأنه ومثل هذه الألعاب وماذا زج به في مثل هذا الحفـل ؟ لم يكن يلعب البوكر بحمد الله ولكنه كان هناك . لماذا لم يوقف اللعب ؟ .

ولم يوافق القاضي المحامي على ماذهب اليه من أنه لم يقـع ضرر من هـذه اللعبة . اذ ربما لم يلحق الضرر بالرجال الثلاثة الذين يعملون في الخدمة العامة شخصيا ولكن لاشـك في أن الضرر يلحق بالهيئات العامة التي يمثلونها . فان اللوردبونتفراكت لن يحرم عليه شخصيا دخول منتديات النبلاء والأشراف ولن يتعرض لاجراء تحقيق معه بسبب هذا الحادث الذي أجتمع فيـه بمجموعة من المقامرين أحـدهم فريشووتر المفلس الذي لم يشهر افلاسه بعد ، ويعيش من كسب اموال الآخرين الذين يرغبون في فقد اموالهم .

وربمـا كان لهؤلاء الثـلاثة الحق في أن يفعلوا في خلوتهم

مايشاءون ، وانه لاعلاقة لهذا بعملهم الرسمي أو مراكزهم الاجتماعية ولكن الأمر لم يعد سرا او خاليا من الضرر ، ومندوبو الصحف جالسون يدونون كل شيء ، ووراء جدران المحكمة جمهرة الشعب البريطاني العنيد المتمهل الصابر الذي يرتضي حكم القانون ويسير على هديه ، ولكن يثيره الشعور الطبقي ، وهو واع بقدرته وسلطانه ، وهو هنا مضطر لغربلة شهادة الشهود بشأن هذه الضجة المؤسفة في الطبقة الراقية من المجتمع أمام هؤلاء المحلفين من الطبقة المتوسطة دافعي الضرائب المستقيمين الصالحين الذين لا يفهمون شيئا عن لعب القمار .

وكان الدور الذي لعبه كل من كاوبيت وسندرفورد في المأساة السخيفة قد جعل القاضي يتململ في مكانه ضجرا وقلقا اذ لم يكن لهما صالح في اخفاء هذا السر وهما يعلمان أنهما لاعلاقة لهما بالموضوع ولا السير بيرنارد دوير باعتباره سمح باقامة اللعبة في بيته .

ان اللوم واقع على رب البيت وعلى الضيوف على السواء وبينهم السيدتان ، وكلهم يعرفون هذا ، ولهذا فهم حريصون على ابقاء الموضوع سرا . ومركزهم من الموضوع مركز اطفال مستهترين ضبطوا وهم يرتكبون عملا لايريدون أن يعرف عنهم أنهم يرتكبونه ، ولهم الحق في ان يكونوا خائفين ومع ذلك فهم قد ضبطوا ، والاتهام وجه اليهم فلم يكن لهم بد من اتباع أحد سبيلين . لو تمت تسوية الموضوع وقتئذ فبها ونعمت والا فقد كان من الواجب نصح الماجور دافيوت بالالتجاء الى المحكمة العسكرية وكان بونتفراكت يعرف ذلك جيدا .. وكذلك كان يعرفه كاوبيت وسندرفورد تماما ولكنهما سلكا السلوك غير الصحيح وأسوأ من ذلك انهما تصرفا تصرف الحمقى ان كانا يعتقدان براءة صديقهما . اما اذا كانا يعتقدان أنه مذنب فان سلوكهما غير سليم .

واستقرت نظرات القاضي على ذلك الرجل الفاجر اللورد فريشووتر ثم على اللورد بونتفراكت المحبوب من الجماهير وصديق

الملوك والذى تقلب فى أكبر المناصب وتقلد أرفع الأوسمة والنياشين ، وهو فى جلسته كما لو كان فى فخ وقد استدعى لأداء شهادة عن ضحية مخمورين حول مائدة القمار . والليدى جينفر مونكستون زوجة جنرال بوزارة الحرب البريطانية اى خبث وشر تخفيهما وراء عينيها الواسعتين الناطقتين ببراءة الأطفال ؟ ماسبب وجودها فى هذا الحفل تاركة زوجها فى مكانه بعيدا عنها . وليس فى هذا الحفل شيء يمكن أن يجعله عائليا . فاللورد بونتفراكت حاضر وزوجته غائبة ومستر كاوبيت دعى ولم تدع زوجته ، ومسز دافيوت لم تستطع قبول الدعوة الموجهة اليها . ولم يكن هناك زوجان غير الكابتن برادفورد وزوجته ، وكان حضور هذه الزوجة لسوء حظ الماجور دافيوت . كانت هناك سيدتان ، ولكن لاعلاقة لهما بالقضية وكان القاضى يرجو أن يكون ذلك صحيحا . وكان القاضى قد سئم هؤلاء القوم ، فكلهم كبار الأجسام اصحاؤها ولهم مكانتهم وأهميتهم . فهم يمثلون المال والسلطان والمكانة والمسئولية وهذا هو الدين الذى فى ذمتهم ويجب أن يدفعوه للشعب لكى يبقوا . فهل يهمه أن لم يدفعوا الدين ؟ .

ولم يكن القاضى قد سمع شيئا عن مسز برادفورد ، ولم يكن يعلم شيئا عن ازواجها الثلاثة الذين تزوجت الواحد منهم بعد الآخر ، ولا عن عشاقها العديدين ولا عن سر احتفاظها بالاحترام رغم سلوكها هذا ، ولو قيل له شيء عن سلطانها على الرجال لما استطاع ان يفهم مثل هذا القول ، وما كان ليفهم سر تأثيرها على الرجال وهى تمشى فى استرخاء بعد ظهر يوم من أيام الخريف أو وهى تدخل ناديا ليليا . فانه لم يدخل ناديا ليليا قط ، ولم يحضر قط أية حفلة من حفلات الصيد فى الخريف ولم يقرأ الصحف التى تنشر انباء المجتمع الراقى ، ولهذا لم ير صوز حفل السير بيرنارد روبر ، ولو رآها لما وجد شيئا يثير اهتمامه فى الصورة اللامعة التى تمثل الماجور دافيوت وهو واقف وبندقيته بيده . ومع هذا فقد راى فى هذا الضابط صحة ماوصفه به المحامى من بساطة ذهنية ، وراى فيه انه قد يشرب الخمر ولكن لايصل الى درجة

العربدة . وهو هادىء الى درجة الخطورة ، وهو يفضل الموت شنقا على ان يطرد من فرقته ومن نواديه ومن المجتمع الذى يقول عنـــه انه راق ، راى كل ذلك فى ضغطه شفتيه وهو نهب انظار المحامين والشهود وجمهرة الحاضرين .

واستمر استجواب المحامى الماجور دافيوت .

وقال الماجور دافيوت ردا على اسئلة المحامى انهم اتفقوا قبل اللعب على الا تزيد المراهنة عن عشرة جنيهات فى كل مرة ، وان كاوبيت كان على وشـك الاعتراض على هذه الزيادة لانه لا يحب المقامرة الشديدة ولكنه لم يقل شيئا ، وبدأ اللعب وبيد كل لاعب مائة جنيه وضعها أمامه على المائدة فى صورة « فيشات » وكان الذى وزع هذه الفيشات هو سندرفورد .

وكان جلوسهم حول المائدة على النحو الآتى :

جلس مستر جرانت عن يمـين الماجـور دافيوت والكابتن برادفورد عن شـماله ومستر كاوبيت بعد مستر جرانت ومستر سندرفورد بين مستر كاوبيت والكابتن برادفورد .

وجلســت مسز برادفورد ترقب اللعب ، وكان جلوسها الى يسار الماجور دافيوت بين الكابتن برادفورد والماجور دافيوت الى الوراء قليلا ، وكان فى استطاعتها أن ترى ورق الماجور دافيوت اذا هى انحنت قليلا الى الامام ، وان ترى ورق زوجها اذا هى مالت الى جانبه وكانت تفعل هذا وذلك من لحظة لاخرى . وهى مشغولة « بالتريكو » ولم يعترض الماجور دافيوت على عملها هذا قط اذ انها لم تتدخل قط فى اللعب .

واتجه فكر القاضى الى تلك المراة التى تنسج الصوف وهـو يعض قلمه الرصاص بين أسنانه . تلك المرأة التى تجلس بـين زوجها والماجور دافيوت وبينهما حب مفقود . ان مرتب الماجـور خمسمائة جنيه فى العام بينما مرتب الكابتن ثلثمائة وخمسـون جنيها ، ولكن ليس بين ضباط فرقة الفرسان من يعيش على مرتبه فحسب ، ولا بد أن لكل من هذين الضابطين موارد مالية ضخمة حتى يمكن تبرير اقبالهما الشديد على المقامرة وادمان الشراب .

وعجب القاضي من طريقة المحامي فى استخلاص المعلومات من موكله وهي طريقة يرى أنها تؤثر فى المحلفين ، ويبـدو عليـه انه يفهمهم جيـــدا ولـكن يجب الا يتوقع من هؤلاء المحلفين فى عام ١٩٣٠ ان يحكموا بأن رجلا لايستطيع ارتكاب جريمة الغش لمجرد انه كان شجاعا فى الحرب العالمية . فكل ضباط الجيش شجعان لأن الجيش لايبقى بين رجاله جبانا واحدا . ولكنهم ليسوا قديسين فان منهم السارق والزاني والذى يشتهي امرأة جاره . الا يمكن أن يكون الزاني شجاعا . ولو برىء الماجور دافيوت من تهمة الغش لكان رجلا كغيره من الملايين الستة الذين ذهبوا الى القتال وآداء واجبهم أما اذا أدين ؟ آه ، ان الأمر عندئذ يختلف . ويكون دافيوت مثيرا للاهتمام لأنه يكون فى أدائه الواجب قد دافع عن شيء أكبر من نفسه ، دافع عن الجيش وعن خدمة الملك .. عن اشياء لاتقوم بمـــال .

وكان القاضي متلهفا على معرفة كل الحقائق فى هذه القضية ولكنه كان يرجو الا تكون لهذه الحقائق علاقة بخيانة زوجيـة فى أسرة دافيـوت وأسرة مونكسيتون واللورد الفاجر فريشووتو ، وأخذ يلعن ذلك الجنرال الذى لم يستطـع ان يحفظ امرأته فى البيت . ولم يكن الجنرال موجـودا فى المحكمة ، وكذلك السـير بيربارد روبر ، اذ كانت أعماله تحتم عليه البقاء فى المدينة ، وقد احسن صنعا ببقائه فى مكان عمله ، ولم يفعل مثل الذى فعـله سندرفورد الذى جلس فى قاعة الجلسة ينظر الى سقف المحكمة بدلا من ان يذهب الى مـكانه فى مجلس العموم . ولم يبـد على سندرفورد أنه راض عن القضية ، وكذلك لم يبد هذا على وجه مستر كاوبيت .

ولكن لا يمكن ان يتهم ضابط زميلا له بالغش فى لعبة خاصة ، مالم يكن متأكدا من انه غش فعلا ، أو مالم تكن هناك ظروف اخرى لاعلاقة لها بلعب الورق . ولم يحب الماجور دافيوت طريقة الكابتن برادفورد فى معاملة الجواد . ويبدو أن الكابتن برادفورد لم يحب

الماجور دافيوت فلماذا ؟ الانه يغش فى لعب الورق ؟ . ان هـذا سبب سهل .. سهل جدا .

هل يمكن لشخص من طراز معين فى ظروف معينة ان يبلغ به الحمق درجة عدم اتخاذ اجراء ازاء مثل هذا الاتهام ان كان بريئا ؟ هناك حالات فضل فيها بعض الرجال الذهاب الى المشنقه لانقاذ أعناق غيرهم من الرجال . هل هناك قصة غرام ؟ ولكن ليس فى هذه الظروف مايوحى ولو من بعيد بمثل هذا الغرام ولا بمثل دوافع الذهاب الى المشنقة . فكل ماهنالك فضيحة . هل يسمح الماجور دافيوت بأن يوصف بأنه غشاش لحماية اصدقائه من الشائعات المؤسفة أو لحماية فرقته من أن تتناولها الصحف ؟ لم يبد هذا محتملا. ولكن القاضى تروتر كان يكره الحساسية وكان يشك فى وجود شيء رقيق اسمه احساس .. شرف الفرقة ! حسن صيت الفرقة . وماذا عن احساسه وشرفه وحسن صيته هو ؟ أية خدمة اداها لفرقته الآن ! وماذا اداه لفرقته الآن ؟ انه المظهر لقد كان المحامى بارعا فى وصفه بالحمق ، ولكنه ليس بالأحمق كما أراد المحامي ان يظهره ،اذ فى صوته سخرية تنم عن الذكاء ولو كان احمق فأحب فرقته الى حد تضحية ذاته للمحافظة على سمعتها فلماذا يلعب الورق بمثل هذا الرهان الكبير ، ومثل هذه المقامرة محتقر فى الجيش ؟ كلا ليس الماجور دافيوت احمق . بل هو رجل اجتماعى يرتاد منتديات الطبقة الراقية . ولما لم يكن أحمق فانه من المحتمل أن يكذب وأن يغش واذن فماذا يشغله ؟ ولماذا يأكل الشك خاطره ؟ ماذا يجد فى هذه القصة ؟ ان مايشغله ويأكل خاطره ويحيره هو العدالة ، هو احساسه بالمسئولية . وكان التزامه بأن يصل الى الحقيقة مصحوبا بخوفه من استحالة هذا الوصول ، لأن الحقيقة لم تكن فى الوقائع التى تذكر امامه ، بل فى الدوافع وفى العواطف المخبوءة وراء هذه الوقائع.

واخذت انظار القاضى فى التجوال فى انحاء القاعة حتى صادفت عينى زوجة الشاكى ووجهها الذى يستوقف النظر ، فهو وجه

صريح مستريح وعادل الى حد جعل جميع الوجوه المحيطة به تبدو قلقه منزعجة ، انه وجه يمكن ان يثق المرء بصاحبته . وتذكر القاضي كم من وجه كوجه الملائكة وصاحبه قاتل . فخفض القاضي بصره وكتب « لم تذهب زوجة الشاكي الى الحفل » .

- ٤ -

وواصل المحامي سؤال الماجور دافيوت عن تفصيلات اللعب وكانت هذه مسائل لايفهمها القاضي أو المحلفون ، ووجه القاضي نظر المحلفين الى هذا واقروا بأنهم لايفهمون شيئا من ذلك وطلبوا أن يقوم الماجور دافيوت بتصوير اللعبة تفصيليا وان يستخدم في وصفه اللغة العادية المألوفة بدلا من الدخول في الاصطلاحات الغريبة .

واخذ الماجور دافيوت في الشرح التفصيلي الذي اتضح منه أن مستر جرانت لم يكن لاعبا ماهرا وانه وحده خسر أكثر من اربعمائة جنيه ، وانه قلب المائدة وجاءت حركته مفاجئة ، بعد أن وصف الماجور دافيوت بأنه غشاش .

وساله المحامي عما اذا كان قد غش فعلا ، واجاب الماجور دافيوت بأنه لم يغش .

وطلب اليه ان يقسم على صحة ذلك فأقسم .

وصور الماجور دافيوت ما حدث ليلتئذ . غرفة دافئة يجلس فيها خمسة رجال وامرأة . وهي امرأة بيضاء الأديم فيها صورة فاتنة في ثوب سهرتها القرمزي الذي يكشف عن صدرها وظهرها ، وهي تنسج بيديها وقد وضعت فوق عينيها منظارا ، وتدلى حول وجهها الساحر شعرها الأسود اللامع ، وكل ماحولها يتوهج في هذه الغرفة التي يملأ دخان السجائر جوها . المقاعد المخملية وسيقان المائدة المتالقة وكؤوس الخمر و «فيشات» اللعب البيضاء المتناثرة فوق غطاء المائدة الاخضر .

واخرج الماجور دافيوت منديله من جيبه وجفف عرقه اثناء ادائه الشهادة . وكانت هذه اول حركة أتى بها اثناء كلامه .

وكان يرى وهو فى قاعة المحكمة تلك الغرفة التى وقعت فيها الاحداث فرأى الجدران المغطاة بالكتب وسمع الأصوات الخافتة تأتيه من خلفه مصحوبة بقهقهة خفيفة . أنت محظوظ فى اللعب ياجورج « دافيوت » وشم رائحة العطر الذى يفوح من السيدة الحسناء ، ورأى كتفيها العاريتين وصدرها البارز .

وكذلك تصور هذه الغرفة واولئك الذين كانوا فيها فى تلك الليلة . وهم الآن جلوس على الارائك الخشبية الجامدة فى قاعة المحكمة .

وهبطت يده الممسكة بالورقات الخمس فى بطء على المائدة ، وكادت تلمس يدا اخرى يغطيها شعر كثيف وكأنما هى يد غوريلا وامسكت هذه اليد الضخمة ابريق البيرة .

القسم الثانى

- ١ -

واختفت الغرفة كلها من أمام ناظريه بعد أن هوت قبضة يده على وجه الرجل الآخر وسمع ضجيجا شديدا واحس ذراعا تحيط بعنقه . وسمع صوت سندرفورد يقول «اسمع يادافيوت، لاتفعل هذا » ثم رأى الأرض وهى مغطاة بورق اللعب والفيشات والرجل المضروب الممدد على الأرض والكؤوس المهشمة والزجاجات المحطمة . وسمع كاويت وهو يقول له « انك لم تقتل الرجل بحمد الله » ورأى جيم فريشووتر ، يقتحم الغرفة ويتساءل « ماذا حدث بحق الشيطان ؟ » .

واراد ان يصيح . كان الرجلان يبدوان مضحكين وهما واقفان عند الباب مفتوحى الفم جاحظى العينين ، والليدى مونكسيتون تطل من فوق كتفيهما . وهناك الرجل الممدد على الأرض وكأن

عظامه قد تحطمت . وشعر بالأسى وهو يرى أن كل هؤلاء الذين ارتبط بهم يتضجرون ويتحطمون وكأنهم قشر البيض .

وكانت المنضدة قد استقرت على أحد جوانبها وقد وقع كل ماكان عليها على الأرض والمقاعد مقلوبة وارجلها فى الهواء . ولم يكفه هذا بل أراد ان يقلب كل شيء فى الغرفة وأن يحطم كل هذه الوجوه الحمقاء وأن يمسك رأسى روبر وبونتفراكت ويضرب احداهما بالأخرى حتى تتأثر أجزاؤهما .

وحاول جيم فريشووتر تهدئته ولكنه اسكته غاضبا وطلب أن يدعوه يخرج وبدأ عليه أنه مخمور بينما لم يكن مخمورا . فانه لم يكن يشرب الويسكى اثناء اللعب لأنه يرى انه اذا فقد الانسان سيطرته على تفكيره كان جديرا بالخسارة .

وقال له سندرفورد « اضبط اعصابك ! » .

لقد كان سندرفورد سطحي التفكير ولكنه طيب وشأنه فى ذلك شأن ويليام وجيم وبونتفراكت فقد تصوروه جميعا مخمورا أما روبر فلم يكن شخصا طيبا ، فهو شديد الفنى شديد الدهاء وله عددكبير جدا من الأصدقاء وأحدهؤلاء الأصدقاء ملقى على الارض ولم يكونوا يريدون منه أن يزيد فى ايذاء الرجل . وكانت هناك سيدتان وكان قد نسى أمرهما . وقال لصاحب الذراع المحيطة بعنقه « لا بأس يا تشارلز . ثم قال للرجل الذى كان ممددا على الأرض وقد وقف الآن يعدل ربطة عنقه ويسوى اكمامه « وانت تعال معى » ولكن الرجل أمسك ذقنه من اثر الضربة وقال تلك الالفاظ البذيئة بينما كان بونتفراكت وروبر والليدى مونكسيتون واقفين بالباب يضحكون « انه لص ورق ! غشاش ! لقد رأيته » .

وزال الانفعال عن دافيوت . وتقدم بقدم ثابتة بين حطام الأثاث واقترب من الرجل وقال له بأدب « أرجوك ان تتفضل معى الى خارج الدار » .

ولكن ويليام كاوبيت توسطهما وبدا عليه انه غير راض عن سلوك دافيوت وقال له «ليس هذا جميلا منك» كان ويليام طيب

القلب كبير العقل . وكان في استطاعة دافيوت أن يقذف به نحو الجدار . ولكنه كان يحب ويليام ولم يكن في استطاعته ان يلمسه. وعاد سندرفورد يمسك ذراعه هذه المرة ، وقال :

« ليس هذا جميلا منك يا دافيوت وسينتهي بك الأمر الى قتل الرجل »

« لا تتدخل في هذا الموضوع ياتشارلز » ولم يكن هناك باس في ان يسيء قليلا الى تشارلز ، انه أحيانا يكون باردا كالسمكة في البحر عندما يكون مخمورا ، وهو سيء الراي في النساء وكثير الشك ولا يؤمن بشيء ، ولا يحب جوزفين ويقول عنها انها كانت في شبابها فاتنة ولكن ... فماذا يعني بالتدخل في هذا الموضوع ؟ « لاتتدخل يا تشارلز لا تتدخل » .

ولكن تشارلز تقدم نحوه ودفعه نحو جيم وهو يبتسم له كاشفا عن اسنانه الصفراء وقال « اهدا لحظة ودع هذا الامر لجيم وويليام يدبرانه معي .. » .

واحاطه جيم بذراعه لا ليمسكه أو يردعه بل ليشعره بوجوده فحسب وكان منه اكثر من اخ . وكان شعور الأخوة هذا قد جعل عقاله يهدأ وقلبه ينبض بالحرارة .

نعم لقد كان دافيوت بين اصدقائه في هذا البيت . جيم فريشووتر وويليام كاوبيت وتشارلز سندرفورد وهم رجال عرفهم طول حياته وكذلك بونتفراكت . كثيرا ماقضى عطلاته في بيت اسرة بونتفراكت عندما كان صبيا وطالبا في المدرسة ، وكثيرا ماقضى هناك أعياد الميلاد واعياد الفصح .

وفي بيت بونتفراكت التقى بآن ، وهي فتاة من نيوزيلاند وتزوج منها بعد تخرجه من الكلية الحربية وظلت معه اثنى عشر عاما وبعض عام . وبعد انقضاء هذه الفترة من حياتهما قالت له انها لاتريد البقاء معه وانها عائدة الى بلادها نيوزيلاند لتعيش بما تركه

لها ابوها ولم تشأ أن ترفع ضده قضية طلاق ، لأنها ان فعلت ذلك طرد من الفرقة . وكانت آن قد سافرت منذ يومين على الا تعود

وقال رب البيت « هل تصر يا جرانت على ان الماجور دافيوت قد غش فى اللعب ؟ » .

ورد جرانت « نعم » .

وقال السير بيرنارد « هذا هراء ياجرانت . هل انت مخمور ؟ »

وقال جرانت « كلا . لست مخمورا » .

وقال جيم « فيم هذه الضجة يا دافيوت ؟ » .

ورد دافيوت « لقد أتهمنى بالغش وضربته » .

وظهرت الدهشة على وجه اللورد بونتفراكت وهو يقول :

«ان هذا اتهام خطير ياجرانت . فهل انت مستعد للاعتذار ؟ . لاشك أن الماجور دافيوت سيكون مستعدا لقبول الاعتذار تكريما منه لرب الدار ؟ .

« ليس فى نيتى أن أعتذر . . »

« ماهـــذا . ؟ »

« لقد غش فى اللعب . ولم اقل غير انه غش فى اللعب »

وهمس روبر قائلا :

« ياصديقى العزيز لاشك فى انك لست جادا فى هذا الاتهام»

« بل انا جاد » .

ونظر الجميع فى دهشة نحو جرانت الذى بدا عليلا ولكنه كان عنيدا ، وكان ويليام كاوبيت ينظر اليه نظرة فاحصة تنم عن الحيرة .

ولم يكن أحد منهم يدرى ماذا يفعل بعد ذلك . ومضى دافيوت نحو الباب وهو يقول « أنا ذاهب . وانت يا جرانت سيصلك منى خبر يوم الاثنين . وانت يا جيم خذ منه عنوان محاميه » .

وقال بونتفراكت !

« انتظر ياجورج دافيوت » .

« لمـــاذا ؟ » .

« انك ياصديقى العزيز لاتستطيع أن تذهب هكذا . وهناك غلطة سيئة جدا ارتكبت ضدك. وعلينا انءنصل الىحقيقة الموضوع والآن اجلس ولنتحدث بهدوء » .

« اشكرك .. ولـكنى سأذهب » .

وتكلم برادفورد لأول مرة فقال « خير لك أن تنتظر يا جورج » وكان برادفورد هادئا كل الهدوء وهو واقف بجوار زوجته ويداه فى جيبه . كانت زوجته تمثل الجمال وهو يمثـل الوحشية لماذا تزوجت منه ؟. يالله ! يالها من فوضى ! هو تزوج من آن التى كـان يجب أن تكون اختا لا زوجة له . وهذه الحسـناء التى يحبهـا تزوجت من هذا الوحش الذى هو اشبه الكائنات بالغوريللا وهـو مضطر الى أن يكون دمثا معه من اجلها هى . هى التى يلتقى بهـا خلسـة عندما كان يريد أن يقول لها أنها دنياه وسيدة هواه .

وسأل دافيوت برادفورد عن السبب فى طلبه اليه البقاء .

واجاب برادفورد انه يقول ذلك فحسب .

وتحاشى دافيوت النظر اليه لانءزوجتهكانت تضطرب ويشحب وجهها كلمـا التقت أعـين الرجلين . ولـكم كان بوده ان يلتحم ببرادفورد ، بل ويقضى عليه ، ولكنه تعلم فى صباه وفى شبابه أن يضبط اعصابه . وان يخفى انفعالاته . ورأى الآن انه لابد له من أن ينتظر من أجلها هى . لقد بدأ الخوف عليها وكان يخشى عليها أن تتعرض لمـكروه من زوجها الفظ .

وقال اللورد بونتفراكت « اجلسوا أيها السادة فسندرفورد وكاوبيت وبرادفورد اشتركوا فى اللعب . وقد ارتكبت غلطة سيئة ودعونا نعمل على توضيح الموقف واظهار الحقيقة » .

- وقال السير بيرناردروبر «هذا صحيح . اجلسوا اذا تفضلتم »

وقال ان هذا عمل غير كريم موجه اليه شخصيا . ولا يجوز أن يحدث هذا العمل الذى من شأنه افساد حفل أقامه وأن يفسد مابينه وبين اصدقائه ، فاللورد بونتفراكت قطعا لن يحضر الى بيته ثانية ، كما أن كاوبيت وسندرفورد سيتخليان عن صداقته بالتأكيد . ثم طلب من اللورد فريشووتر الصديق الحميم للماجور دافيوت أن يقنع صديقه بالجلوس .

وكانت الليدى جينى متعلقة بذراع فريشووتر وكم كانت علاقتهما جميلة . وأخذت الليدى مونكسيتون تنظر الى جرانت . واخيرا قالت له بصوت خافت :

ـ لايمكن أن تقصد هذا يامستر جرانت .

ـ بل اقصده .

ـ ولكن المرء ببساطة لا يستطيع .. لا يستطيع .

ـ بل يستطيع .

ـ يالله ..!

وتدخل ويليام كاوبيت للمرة الأولى بقوله « اذهبى ياجينى الى فراشك وخذى معك مسز برادفورد . »

ولكن جوزفين برادفورد رفضت الذهاب . وكان رفضها هذا سببا فى ان يقبل جورج دافيوت البقاء هو الآخر .

وطلب بونتفراكت من تشارلز سندرفورد ان يبدأ الكلام .. وسأل : هل رأى دافيوت يأتى عملا غير عادى فى اللعب ؟ .

ـ ابدا بالتأكيد .

ـ وانت يا كاوبيت ؟ .

ـ اننى لم أره يأتى عملا غير عادى . ولا يكفينى هذا القول بل انى أرى أن هذا الاتهام انما هو وقاحة مثيرة للغضب .

واستمر سندرفورد فى توجيه الأسئلة :

ـ وانت يا مستر جرانت ماذا تاخذه على جورج دافيوت ؟ .

ـ رايته يستعيد الأوراق التى كان قد استغنى عنها والقى بها على المنضدة ويعيدها الى مابيده ويلقى غيرها ثانية .

ـ لماذا لم تقل ذلك فورا ؟ .

ـ قلت ..

ـ كلا لم تفعل يا جرانت بل لعبت ولم تقل شيئا .

ـ نعم اتممت اللعب اولا .

ـ لماذا اتممت اللعب اولا ؟ .

ـ كنت فى حاجة الى بعض الوقت للتفكير .

ـ لم تكن متأكدا اذن ؟ .

ـ كنت متأكدا واقسم على ذلك .

ـ فلماذا اذن لم تقل ذلك على الفور ؟ .

وتلفت جرانت حواليه . وكان فى عينيه قلق وهو يوجهما الى واحد بعد آخر ويزداد قلقا .

ـ هل رأيت الماجور دافيوت يلتقط الأوراق بعد ان القاها ؟ .

ـ نعم .

ـ هل أنت واثق ؟ .

ـ نعم .

ـ هل كنت تراقب يده . يده اليمنى ؟ .

ـ لم اراقب ولكنى رايتها .

ـ هل كانت قريبة منك ؟ .

ـ جدا .

ـ وأين كانت أوراقك ؟ .

ـ في يدي .

ـ وهل اخذت أنت اوراقا في التغيير ؟ .

ـ نعم .

ـ كم .

ـ اثنتان او ثلاث .

ـ اى الرقمين اصدق ؟ .

ـ ثلاث .

ـ هل انت متاكد ؟ .

ـ نعم .

ـ انما اسألك هذا السؤال لأنى اذكر انك لم تأخذ اكثر من ورقة واحدة مارايك في هذا ياويليام ؟ .

ـ صحيح انه لم يأخذ غير ورقة واحدة .

ـ ولكنى واثق من انى أخذت اكثر من ورقة .

ـ كم ؟ .

ـ اثنتان أقصـد ثلاث .

وابتسم سندرفورد وقال : ـحسنا . أنت واثق من انك اخذت ورقتين او ثلاثا . وعلى كل حال كان في يدك خمس أوراق كاملة وهذا امر كلنا واثقون منه . وانت مشغول بالنظر الى هذه الأوراق وفى نفس الوقت رأيت الماجور دافيوت يعيد الى المائدة ورقتين ثم يستعيد الورقتين بعد التغيير ، فلماذا لم تضع يدك فوق يده متلبسا بالعمل وتكشف أمره .

ـ لا اعرف . لم أصدق نفسى وأنا اراه يفعل ذلك .

ـ هل شربت كثيرا يا جرانت .

لم اشرب اكثر مما شربه كل واحد .

ـ كان لك فوق المائدة مال كثير ؟.

ـ نعم .

ـ اخشى انك لم تكن مستعدا لفقده كله .

ـ هل تعنى ..؟ .

وتدخل اللورد بونتفراكت قائلا :

ـ لا حاجة بنا الى الضغط عليك ياجرانت اكثر من هـــذا ؟ والآن مارأيك انت يادافيوت فى هذا الاتهام .

ـ انه كذب كله .

ـ أين الأوراق ياسندرفورد ؟ .

ـ كلها ملقاة على الأرض بعد أن قلب جرانت المائدة وشعر بونتفراكت بالعار من مثل هذا العمل .

ـ هل قلبت المــائدة يا مستر جرانت ؟ .

ـ نعم بطريق الخطأ . جاء ذلك مصادفة .

ـ سواء كان مصادفة ام كان عملا مقصودا فان هذا الوضع ليس لصالحك .. لأنك لن تستطيع استرداد أى جزء من المــال بعد أن ضاعت الفيشات التى كانت أمامك والتى تحدد كم لك من المال .

ـ أعرف هذا .

وبعد ان ظل الكابتن برادفورد صــامتا طول ذلك الوقت تكلم بهدوء شديد وقال : « ليس الأمر بمثل هذه البسـاطة » .

واتجهت كل الأنظار نحو برادفورد وهو جالس ويداه فى جيبيه وساقاه متشابكتان وفى عينيه حزن واسى ورثاء .

اذن فهــذا هو الذى كانت جوزفين تخشاه ؛ كان برادفورد يعرف وكانت جوزفين تعرف انه يعرف ؛ وانه سينتهز هــذه الفرصة ولــكن كيف عرف ؟ انها لم تلتق بدافيوت اكثر من ثلاث مرات فى لنــدن ؛ ومرة اخرى فى مشرب خمر منذ اسبوعين وكانت تدبر امر هذا اللقاء بعناية بالغة ؛ وكان دافيوت بدوره حذرا ذلك النوع من الحذر الذى يضايقه ؛ اذ هو لم يتعود القيــام بأى

عمل فى الظلام ، فكان مثلا يتحاشى الحديث معهـا اذا التقيا على مراى من الناس وكان يتحاشى مجرد النظر اليها . وكان دافيوت يعلم أن هذه العلاقة هى التى دفعت آن الى السفر الى بلادها بعد عشرة استمرت اثنى عشر عاما وان لم تعلم هى شيئا عن ذلك . اذن فهل كان جميع الناس يعرفون بوجود هذه العلاقة ؟ هل يعرف هؤلاء السادة أنه يعبد هذه المرأة جوزفين ؟ وأنه يهفو اليها الى حد سبب له العلة ؟ ولو عرفوا اذن لعرفوا ماذا ينويه برادفورد ... ولكن ليس من المحتمل أن يعرفوا . لم تكن لدى اللورد بونتفراكت أيـة فكرة عن هذه العلاقة . ولا روبر . ربما كان تشارلز على عـلم بها . اما ويليام وجيم فهما يعرفان حقا . أما جرانت فانه لا يعرف شيئا ويجب ألا يعرف . اما دافيوت نفسه فما كان من الممكن أن يعترف حتى للذين يعرفون بوجود مثل هذه العلاقة . ماذا يستطيع أن يفعل اذن ؟ كيف يرد على برادفورد ؟ وكيف يحميها ؟ لقد بدأ عليها أنهـا تحاول أن تنفذ من الجدار وتخرج من الغرفة .

وكانت تستعد للقيام من مقعدها .

وكان سندرفورد يتكلم الآن « هل أفهم من ذلك يابرادفورد أنك انت الآخر تتهم دافيوت بالغش ؟ » .

ـ نعـم .

ـ هل رأيته يسترد اوراقا كان قد ألقاها على المائدة ؟ .

ـ رأيته يفعل ذلك لا فى هذه المرة فحسب بل أكثر من مرة وعلى وجه التحديد كان ذلك مرتين .

وكان برادفورد يتكلم بهدوء وببطء .

وانحنت جوزفين الى الأمام وهمست له قائلة :

ـ كيف تجرؤ ؟ .

ولم يلتفت اليها بل تكلم جانبيا من ركن فمه من خلال اسنان متشابكة وهو يقول :

ـ التزمى الصمت .

ولما نهضت واقفة ومـرت به فى طريقهـا أمسك بذراعهـا بعنف وجذبها جانبا وقال :

ـ استقرى حيث أنت وانصتى .

ـ لن افعل .

وواجهته لحظة وهى تلهث ، وبدا وكأن ذراعها ستنكسر فى يده او كأنها ستبصق فى وجهه ولكنها حاولت التخلص منه قائلة :

ـ اتركنى .

وقال أحد الحاضرين :

ـ خل عنها يا برادفورد .

وصاح برادفورد فيها : اخرجى .

وترنحت هى ثم تمالكت نفسها وذهبت نحو الباب حيث كانت الليدى مونكسيتون تغطى وجهها بيديها .

وقال برادفورد :

ـ وأنت أيضا ياجينى .

واخذت جينى هى الأخرى فى البكاء عندما خرجتا معا .

ـ ٢ ـ

ورأى تشارلز سندرفورد عندما فكر فى تلك اللحظة انه كان من المستحيل أن يبدو جورج دافيوت بريئا ، وسواء أكان بريئا أم مذنبا فانه لم يكن له مفر من أن يبدو مذنبا . ولم يكن مستطيعا ـ وهذا الاتهام يلقى فى وجهه ـ أن يكون سلوكه مقنعا لرجل محايد بأنه برىء من هذا الاتهام ، لسبب بسيط ، وهو أنه لم تكن هناك طريقة سليمة وصحيحة لاتباعها فى مثل هذا الموقف غير السليم .

وماذا يستطيع هو او اى رجل آخر أن يفعله أفضل مما فعله دافيوت وقتئذ . اذ لم يفعل شيئا ، هل يضرب برادفورد ويوقعه على الأرض ؟ ولكنه فعل مثل ذلك مع الرجل الأول . وأنت لا تستطيع ان تكرر عملا واحدا ويكون له فى المرة الثانية نفس التأثير الذى كان له فى المرة الأولى . أو ماذا يستطيع ان يقوله ؟ هل يقول ان هذا الاتهام كذب وان برادفورد كاذب ؟ لقد قال

بالفعل نصف هذا القول ، ولم يكن مجديا أن يتم النصف الباقى ما لم يكن مستعدا لتوضيح السبب الذى دفع صديقه وزميله فى السلاح الى الكذب ؟ وما كان مستطيعا ذلك . وكيف يستطيعه ؟ وعلى فرض انه قاله واتهم برادفورد امام الجميع بأنه فعل ذلك انتقاما من دافيوت بسبب علاقته الغرامية بزوجته ؟ كيف يبدو هذا ؟ انه لن يكون بالعمل الحسن بل انه لن يكون حتى صالحا فى أن تكون له رنة الصدق على اذن كأذن السير بيرنارد روبر . ومع ذلك فقدكان هو الحقيقة كما يعرفها سندرفورد. كان سندرفورد يعرف ان دافيوت برىء من سرقة المال ولكنه مذنب فى تهمة سرقة الزوجة انجاز له مثل هذا التعبير . والاعتراف بأن جوزفين الزوجة كانت عامية السلوك . ورأى سندرفورد أنه لم يكن امام دافيوت من سبيل لاثبات براءته من الغش فى لعب الورق الا بالاعتراف بذنبه نحو السيدة ، وهذا هو مالا يستطيع الاقدام عليه قطعا . وهكذا لن تخدمه الحقيقة . فالحقيقة هى السلاح الوحيد الذى لا يستطيع استخدامه للدفاع عن نفسه . ورأى سندرفورد ان دافيوت لو استخدم هذا السلاح لأضاع نفسه . فان المحلفين حتما يدينونه على الفور بتهمة الفجور وكذلك يدينه عالمه الخاص والعالم كله بمثل تلك التهمة على الفور ، وكذلك بالاستهتار الشديد فى الاعتراف بالتهمة والنتيجةالنهائية هى أيضا ثبوت تهمة الغش .

ولما كان الأمر كذلك فأنه يجب عدم السماح له بالالتجاء الى القضاء . يجب عدم ابلاغ هذه المسألة المؤسفة الى المحكمة . ويجب اخمادها هنا والآن فورا ، مادام جورج لايستطيع أن يفعل شيئا ، بل على اصدقائه تسوية الأمر . ويجب على كل صديق من هؤلاء الأصدقاء ان يؤدى واجبه ويقوم بدوره . ولن يكون الأمر سهلا اذ كان عليهم أن يخدعوا الرجلين فى وقت واحد . فاذا تآزر هؤلاء الاصدقاء فى هذا العمل - ولماذا لايتآزرون مادام هذا التآزر لمصلحة جورج دافيوت - فانهم سينجحون . ثم هناك جورج الذى سيكون اقناعه اكثر صعوبة لأنه ليس بالرجل الغشاش او الفاسق ، بل هو سيد مهذب ، فلا يستطيع تبين

كل ذلك . وسيكون من العسير جعله يفهم ذلك كله ويفهم ضـعف مركزه الشديد الذى لا أمل فيه أن هو نفذ تهديده . ولم يخطـر بباله قط ان يجر السيدة الى التورط فى هـذه المشـكلة وهـو لايفعل ذلك قط . ولو تطلب الأمر تمريغه فى الوحل . والجنود يتميزون بالفروسـية التى تحملهم على تقبل ما يوجـه اليهم من اهانات فى محاكم الطلاق على ان لايمسوا بالسوء أولئك السيدات اللواتى يقاضينهم فى تلك المحـاكم وهن الآثمـات . وجوزفين برادفورد من هذا النوع . فهى طيبة حتى تحصل على ماتريد وهى مخلوقة ساحـرة ومع ذلك يجب الا تؤخـذ مأخـذ الجـد والا يفرغ لها مكان فى القلب كما كان سلوك جورج معها فيما يبـدو فى بساطته المطلقة . ورأى سندرفورد أن مثل هذا السلوك من جورج هو خير سلوك يمكن ان يتبـع مع جوزفين . وذلك عـلى ضوء ما يذكره سندرفورد عن زوجيها السابقين وطلقتهما كما تطلق اية سيدة مهذبة طاهرة الذيل بما أعـدته من براهين وأدله على أنهما يمارسان الفجور فى الفنـادق ، ولن يضيرها أن تدفع ثمن خطيئتها هذه المرة . ولكن جورج طبعـا لن يتخلى عنهـا ولن يفيد جورج شيئا ان هو تخلى عنها وتركها تدفع ثمن خطيئتها . وجوزفين مصدر ازعاج عام وهى ليست بالمرأة المرتزقة من الأثم ؟ وليست بالمرأة الماكرة وليس بها شىء يضع من مركزها الاجتماعى . ولكنها امرأة أنانية متهـورة وغاية فى التقلب بين الأهـواء أو هى صورة كاملة للمرأة على حقيقتها . وهى عنـدما تحب تحب فى تهور . وكان حبها عبئا على الرجل الذى تحبه يكلفه الـكثير من الجهد وتوتر الأعصاب . ولكن هذا الحب لايدوم طويلا واذا انتهى حبها ضحت بالرجـل الذى كانت تحبه ثم تنساه تماما . انها امرأة بلا ذاكرة . هذه هى جوزفين . فهى لاتذكر متى بدأ هـواها واذا انتهى هذا الهوى ضـاع من ذاكرتها تماما . وهى الآن تحب جورج دافيوت . ولم تكلف نفسها كثيرا من الجهد فى اخفاء هذا الحب وهى مستعدة لتضحية برادفورد من أجل جورج دافيوت لو أن الأمور سارت على نحو غير النحو الذى سارت عليه . ومن المهـم رؤيتها وهى تضحى بجورج . لايستطيع المرء ان يعرف شيئا عن ذلك لان مثل هذه الازمة لم يسبق حدوثها فى حيـاة جوزفين .

ولم يكن قد انقضى وقت طويل على هــذا الحب الذى لايزال على سطح الموج . ويتوقف نوع العمل الذى عليها أن تعمله على قــوة الدافع العاطفى التى تدفعها فى هــذا الحب . وكان من المحتمل أن تلتصق بجــورج بل ان فكرة طارئة قد تخطر لهــا للتخلص من برادفورد فى المحكمة لكى تفرغ لجورج . ولــكن هذا العمل لن يفيد أحدا ولا جورج نفسه ان بلغ الأمر هذا الحد ؛ ومن ناحيــة أخرى فان جورج لايستطيع التنبؤ بمثل هذا الحد من الأمور أو كيف يقف أمام قاض ومحلفين فيعترف بعلاقته .

ورأى سندرفورد على ضوء ما تقدم أنه لم يكن امام جورج طريق يسلكه فى هذه اللحظة أو أية لحظــة أخرى قادمة ويكون سلوكا نافعا له . لقد تمكن برادفورد منه . وقيده وكممه والصقه بالجدار ، وجعله بلا حول ولا قوة كما لو كان قد ثبته فى الجدار برمح .

ومع ذلك فان وقفة جورج هكذا وفى ملامحه مايكشف عمــا يدور بين جوانحه أمام كل من روبروبونتفراكت . فان وجه الرجل المتهم لم تكن لترتسم عليه ملامح الملالة ولهذا لابد أن يكون قــد غش فى لعب الورق . وتصبب بونتفراكت عرقا وهو يتململ فى مكانه مرتبكا ، أما السير بيرنارد روبر فقد عقد ما بين حاجبيه على نحو جعله يبدو فى مركز الرجل الذى يسخر سوء حال الآخرين لتحقيق أغراضه ، ولــكن الأمر لم يكن يعنى روبر كثيرا .. اما الذى انهكه الاهتمام بالموضوع فهو اللورد بونتفراكت . وشحب لون جورج حتى أصبح وجهه كالشمع ، وكان بونتفراكت يفضل له أن يصبح لون وجهه قرمزيا للدلالة على أن الدم قد صعد الى رأسه بدلا من أن يفيض من وجهــه - فأنت بشحب لونك فقــط عندما تشتد عليك الريح ، أو عندما تكون مريضا جدا . ومما زاد جورج سوءا ، موقف ذلك العرق الذى تصبب من جبينه وعيناه اللتان زادتا اتساعا فى تحديقهما . والشىء الوحيد الذى لم يحدث له هو انه لم يترنح بل تصلب فى وقفتــه بلا حركة . ولم يرض الرجلان عن هذه الوقفة . لم يتحرك وكان عدم حركته هذا شاهدا

ضده . ساعده الله . ماذا كانا يريدان منه أن يفعل ؟ . يصرخ ؟ . يصيح ؟ . يلوح بقبضة يده فى وجه برادفورد الساخر ؟ .

ولكن جورج دافيوث ظل يرقب المنظر امامه فى فهم يائس وهو واقف فى ضوء المصباح والجدران المغطاة بالكتب تحاصره ؟ وسبعة رجال يحدقون النظر فيه وفى وقفته الجامدة وعرقه المتصبب ويأسه الناطقة به ملامحه . وعينيه اللتين تنطقان بخيبة الأمل . وكان سندرفورد يعرف انه لم تكن هناك أية جدوى فى اى قول أو اى عمل .

ولو كان قديسا الآن لكان هناك رجال تتألق وجوههم ورعا وتقى وهم يحرقونه . ولقد كان هناك رجل قديس مات تحت الحجارة التى رجم بها . أما الحال هنا فقد كانت غير ذلك ، اذ ليست هذه الجماعة من القتلة المتعصبين ، وجورج نفسه لم يكن قديسا . بل كان جورج هذا سيدا مهذبا من القرن العشرين ، فى جعبته بضع خطايا صغيرة وبقيت فى نفسه بقايا ايمان آبائه وأجداده .

وهذا الأيمان هو الذى يشعره بالقلق ويؤرق ضميره . أفلا يكون من المناسب وصفه بأنه لم يحب أحدا ولم يؤمن بشىء سوى القانون الذى مهما تغير فانه ظل دائما المفهوم الذى يحفظ لنظام ليعيش الناس فى ظله ، كلا ليس ذلك مناسبا تماما ، بل المناسب أن تقول انه مؤمن بالتراث الانسانى الذى يضخم ويكبر على مر القرون بفضل جهود اقوام متتابعة جيلا بعد جيل من الناس .

هل كان مؤمنا بالعقل ؟ .

كلا ، ليست هناك راحة فى العقل .

هل كان مؤمنا بقوة الشخصية ؟ .

كلا .. بل ان الخوف من القانون هو الذى يبقى على النظام بين الناس . ألم يكن من الممكن أن يرتكب كل واحد من المجتمعين جريمة الغش لو انه وجد الاغراء الكافى ونصيبا كافيا من ضمان

السلامة . وبما كانت العادة فى مقدمة كل هذه العوامل . والقانون لا يفعل أكثر من سبك العادات التى تكفل السلامة والرقة . وهنا فقط وجد جورج راحته .

وخرج البعض على القواعد المتبعة . رجل ظنه من لونه ، اقدم على نوع من العمل لايتفق واى طراز من طراز السلوك التى يعرفها ؛ ولما كان هو نفسه عاشقا لزوجة هذا الرجل فانه لايستطيع الاقدام على اى عمل . ولهذا تطلع الى أصدقائه . تطلع الى جيم أولا ، ثم الى سندرفورد ثم الى ويليام . وقد مضى ويليام اليه بحمد الله ووضع يده على ذراعه وقال له مهدئا . لابأس ياجورج . هون الأمر عليك . ولا أهمية لما يقوله برادفورد فلن يصدقه أحد . وابتسم ويليام ذلك الرجل الطيب لجورج . ولكن جورج قال : لاجدوى فى الكلام . سيقول المحامون القضية يوم الاثنين .

ثم استدار ومضى خارجا من الغرفة .

وسألهم برادفورد : هل هناك ضرورة للاستمرار فى هذا ؟ .

لقد رايتم بأنفسكم كم هو مذنب .

ولم يدع ويليام الأمر يمر ببساطة هكذا بل قال : انت مخطىء يا برادفورد وليس من الحكمة أن تتكلم بهذه اللهجة لانك تعلم أننا نعرف جورج .

ولكن برادفورد ابتسم ابتسامته الكئيبة وقال : هل تعرفونه؟ . حسنا كذلك أعرفه أنا .

وقال اللورد بونتفراكت : ماذا تقصد بهذا يابرادفورد ؟ اذا كانت لديك مآخذ أخرى ضد الماجور دافيوت فاوضحها لنا الآن . قلها . فهذا الأمر أخطر من ان يكتفى فيه بالادلاء ببيانات مقنعة .

ورأى سندرفورد فى هذا الكلام غلطة أخرى اذ هو يتيح منفذا آخر لبرادفورد . ولم تكن هذه هى الطريقة الصحيحة لمعاملة برادفورد الذى يكره جورج ، وقد وجه اليه هذا الاتهام عمدا وبدقة ، وكان من الواضح انه ظل طويلا يتربص به وراى فرحته

عندما قلب جرانت المائدة ، وفى أثناء الدقائق العشر التى انقضت فى استجواب جرانت تدبر امره ، ويالها من فرصة مناسبة جدا لتنفيذ خطته لتحطيم جورج مع ضمانة سلامة نفسه فى الوقت ذاته .

وتصبب العرق من جبين بونتفراكت وهو يقول : اذا كان لديك شيء ضد جورج فقله فورا .

وقال برادفورد : اعرف انه فى حاجة شديدة الى المال .
ـ وماذا تعنى بذلك ؟ .
ونظر برادفورد الى بونتفراكت فى دهشة حزينة وقال :

ـ اعنى ببساطة ان كل اعضاء الفرقة يعرفون أنه يعيش بدخل سنوى قدره ثلاثة آلاف جنيه وذلك بفضل أموال زوجته من ناحية ومن مكاسبه من لعب الورق من ناحية أخرى .

ـ لا أعتقد ان لك دخلا فى ايراد زوجته وكيف يتصرف فيه يا كابتن برادفورد .

ـ قد لا يكون لى دخل فى هذا . ولكن بعد ان غادرته زوجته نقص هذا المورد والباقى واضح ومفهوم .
ـ ماذا تقصد ؟ .
ـ اقصد انها سافرت .

ـ سافرت ؟ .
ـ نعم عادت الى نيوزيلاند .
ـ هل تقصد ان زوجة جورج قد هجرته ؟ .
ـ أعنى ذلك تماما .
ـ لا أصدق ذلك فقد قابلتها زوجتى منذ ثلاثة ايام فحسب .

ثم التفت بونتفراكت الى فريشووتر وقال : هل ترى فى هذا القول شيئا من الصدق ؟ .
ـ كله كذب . لأن آن انما تزور اسرتها فى نيوزيلاند . ولوانها كانت تنوى ذلك لأبلغته لزوجتى .

وقال برادفورد بهدوء : ابحرت سفينتها صباح اليوم من تيلبورى .

ـ يالله ! .

واستطرد برادفورد يقول : وجورج مدين بمبالغ كبيرة فى هافرشوت ! .

وصاح جيم فيه : « اخرس . والا فساغلق فمك بيدى . قلت لك أنك كذاب » .

وراى سندرفورد أن أسلوب جيم هذا غير مجد ولذلك تدخل وقال : دع هذا الأمر لى يا جيم فانى لا أرى هذين السيدين يدركان نتيجة مايتورطان فيه . وأرى أن أتولى انا توضيح الأمر لهما قبل أن يزداد تورطهما وقبل أن يبرح جورج هذا البيت اذا أمكن ذلك . وأرجو أن تتفضل باللحاق به وأن تقنعه بالعودة لأكلمه كلمتين ، قل له انهما هامتان . لاتدعه يذهب قبل أن تراه . لأنه اذا مضى قبل ذلك فان جرانت وبرادفورد سوف يأسفان كثيرا للنتيجة المتوقعة لهما .

وقال بونتفراكت : هذا مؤكد .

وقال السير بيرنارد روبر رب البيت الثرى : ان سندرفورد على صواب وهو يتكلم عن علم . ومن حسن حظنا أنه معنا فى هذا الموضوع . فهذه المسألة يجب أن تنتهى هنا والآن . هل تسمعنى ياجرانت ؟ .

أرجو ان تعدنى بانهاء هذا الموضوع وبنسيانه .

ـ من ناحيتى أنا موافق . ولكن ماهو موقف الماجور دافيوت ؟ . ويبدو لى أن برادفورد غير مستعد لنسيان الموضوع .

وقال اللورد بونتفراكت : يجب أن يكون الكابتن برادفورد هو الآخر معقولا يجب أن ترى يا برادفورد أن هذا الأمر مستحيل ، مستحيل تماما . مستحيل بالنسبة لضابطين فى فرقة واحدة . فكر فيه يا رجل .

وقال سندرفورد : اذهب يا جيم واطلب الى جورج الانتظار .
لا تدعه يمضى .. تعلق به .

ولما ذهب اللورد فريشووتر وجه سندرفورد حديثه لبرادفورد قائلا :

ـ لو قلت لنا يا برادفورد كيف كان جورج يغش فى اللعب لكان هذا أمرا شديد الاهمية بالنسبة لنا فأنا وكاوبيت شريكان فى اللعب . ولكنى أريد أن أقول لك قبل كل شىء انه اذا اضطر الماجور دافيوت الى رفع قضية ضدكما أنت وجرانت فانى سأطلب اليه توضيح مركزه المالى . وأنا واثق من أنه لو صحت دعواك واتضح أنه فى ضائقة مالية فانه لن يحاول انكار ذلك ، ولن اسمح له بالاقدام على آية حماقة وسأطلب اليه أن يذكر بصراحة ما اعرف انه حقيقة .

وقال برادفورد فى كسل ووقاحة : الحقيقة التى هى .. ؟ .

الحقيقة التى هى أنه ظل طول حياته يلعب الورق فى سبيل كسب المال وانه مقامر بالسليقة وانه تعرض لضائقات مالية عدة مرات .

ـ هل تنصحه بأن يقول ذلك للمحلفين ؟ .

ـ نعم أفعل ذلك .
ـ هل ترى ان هذا يبدو سليما .
ـ ولكنه سيبدو صادقا ولا علاقة له بالتهمة التى تريد الصاقها به .
وخاصة بعد أن قلت انك رايته يغش ثلاث مرات .. فهل يمكن أن تزيدنا تفصيلا ؟ .
ـ لا افعل .

ـ ربما كنت فى ذلك حكيما . ولكن ستضطر فى المحكمة الى ذكر هذه التفصيلات ولن تنكر فى المحكمة أنك قلت هذا هنا لأنه لن يكون من الحكمة مثل هذا الانكار ، وعليك شهود عديدون هنا .
ستقول ان التشهير ليس تشهيرا لأنه حقيقة وستحاول اثبات

صحة قولك فكيف تستطيع ذلك ياكابتن برادفورد ؟ هذا هو الذي يهمني . كيف تستطيع بعد بضعة اشهر من الآن اثبات ان الماجور دافيوت قد غش في اللعب . لن تستطيع احضار الورق في المحكمة . فالأوراق الآن اختلطت بعضها بالبعض الآخر . والمنضدة كسرت رجلها ، وانت يا جرانت شريكه في هذا العمل ولكن كيف يساعدك هذا في اثبات ان الماجور دافيوت قد غش في اللعب ؟ » ولو انك وضعت يدك على يده اثناء الغش لكان الاثبات ممكنا ولكنك تركت اللعب يستمر ساعة كاملة دون أن تتكلم . وواضح من هذا انك لم تر في لعب الماجور دافيوت ما يوجب المؤاخذة الا بعد انتهاء اللعب ووقوع الأوراق على الارض . وانت يا برادفورد لماذا انتظرت حتى وجه جرانت الاتهام الى الماجور دافيوت . انك لم تذكر لنا سبب ذلك .

ونظر برادفورد بعينين حمراوين الى سندرفورد وقال لن اذكر السبب .

وابتسم سندرفورد قائلا عندما تصر على هذا يا برادفورد سأقول انا وكاوبيت اننا اشتركنا في اللعب ولم نر شيئا مما تقول وانك اما مخطيء واما كاذب .. أليس كذلك يا ويليام ؟ .

ـ نعم .

ـ انك ترى وجهة نظري يا برادفورد . أنا مستعد لأن اثق في حسن نيتك . في هذه اللحظة على الأقل فتقول انك اخطأت ، لأني لايمكن أن اسمح لنفسي باعتقاد انك تبتكر مثل هذه التهمة عمدا ضد الرجل حتى اذا كنت تكرهه .. وانت لا تكره دافيوت على اية حال .

ـ طبعا لا اكرهه . فليس هناك داع لهذا .

ـ انا واثق من أنه ليس هناك داع لهذا . فقد فكرت في أي احتمال لدافع يدفعك الى كراهيته . وموقفك سيكون اسوأ من موقف دافيوت لو استمرت هذه الأمور .

وقال برادفورد بصوت غليظ : انت بارع في الذكاء ياسندرفورد وليست لي رغبة في ايذائه . وانت تقول اني مضطر الى اثبات أنه غش . فكيف يثبت هو أنه لم يغش . انه طرف في الموضوع وأنا وجرانت الطرف الآخر . غلطة بصرية !. لماذا أتخيل ان صديقا حميما لي قد غش اذا لم يكن هو قد غش فعلا ؟ أى دافع يدفع جرانت أو يدفعني للكذب ؟ جرانت هذا لايعرفه . اما انا فأعرفه منذ سنوات . وهو رئيسي وانه لأمر محزن أن يتهم المرء زميلا له في الفرقة بالغش في اللعب هل يخطر ببالك اني لا ادرك ذلك ؟ اني أدركه تماما كما يدركه هو . فماذا يجعلك متأكدا من أنه سيطلب الى ذكر ذلك علنا في المحكمة ؟ .

- أنا متأكد لأني متفق معه في أنه عليه ان يفعل ذلك .
- هل ستنصحه بمقاضاتنا ؟ .
- نعم سانصحه .
- هل تريد كشف هذا الموضوع على الناس ؟ .
- كلا . ولكن هذا أمر لابد منه .
- حسنا . ساصمت ان صمت هو .

- ٣ -

لابد انها كانت تنتظره عند راس السلم . وقد رآها عندما دخل الممر شبه المظلم . وتلقاها بين ذراعيه . وقالت :

- ياحبيبي .. ياحبيبي الغالي .

ولكن كانت هناك وحشية في طريقة تعلقها به . وكان هناك انفعال مثير وشوق له علاقة بالرجل الآخر . وكان هذا الرجل الآخر مختبئا وراء تلك الأبواب المغلقة داخل الغرفة .. كان هنا معهما .. كان وراءها في الظلال .. وعلى حين فجأة اراد أن يؤلمها وأن يجرها الى داخل الغرفة ويلقى بها على الفراش . لقد كانت تابعة لذلك الكلب القذر . لقد كانت آثار معاملته اياها واضحة على جسدها .

وقالت وهى تلهث : ماذا سنفعل الآن ؟ ! . أين يمكن الآن أن نلتقى ؟ . يجب أن أقابلك يوم الاثنين . كيف أستطيع مقابلتك ؟ . قل لى بسرعة ..

ولم يرد على هذه الحماقات . اذ لم يكن هناك وقت لذلك الرد ويجب ان تحصل على معطف أو ما يماثل المعطف . فقد يصعد الآخرون فى أية لحظة الآن . ولكن ليصعدوا . وسيطر على فمها .. وكان سعيدا بمكافحتها للتخلص منه .. كان جميلا ايلامها والتهام فمها .. كان كل ذلك حسنا .

لم يعد هناك الآن ما يثير الازعاج أو يحمل على الخجل ولم يعد هناك ذلك الشعور الأحمق وهو الشعور بالذنب ، وذلك بحمد الله . لم يعد هناك سوى الانتقام وسينتقم منهما كليهما . ومنها ايضا لأنها سلمت نفسها لذلك الخنزير . وكان كل ماقيل عن عدم لمسه أياها كذبا فى كذب . فقد قضت ليلتها الماضية معه . ولكن لينسى ذلك الآن .

وخلى عن فمها وهمس قائلا : تعالى .. أعدى أسياءك فليس لدينا وقت كثير .

وضحكت فى اهتزاز وقالت : انك وحش ! .

وكانت مسرورة تريد المزيد من ذلك . ولكن لم يكن هناك وقت . وسيكون هناك وقت كثير ولكن فيما بعد . ونظر الى وجهها الجميل .. ولم تكن نظرته واضحة ، فلم يبد وجهها وجها على الاطلاق ، بل بدا له فما وانفا وشيئا من اللون الأحمر فوق شفتها العليا ..

ــ تعالى بنا . أعدى أشياءك .

ــ ماذا ؟ .

ــ امسحى شفتك العليا .

ورمشت عيناها ، ثم اغمضتهما عندما امسك منديله ومسح فمها بهذا المنديل وهو يسندها الى احدى ذراعيه . وكان البيت

الغريب يلفهما بصمته . فهل كانت تخشاه ؟ لو خشيته لكانت على حق فقد كان يكرهها .

وتصلب عوده على حين فجاة وقال لها « اسمعى » .

واغلق باب فى مكان ما . وكان هناك صوت وقع أقدام لافى القاعة الأمامية . بل فى القسم الخاص بالخدم وهمست قائلة : قل لى بسرعة أين ستكون يوم الاثنين . أين يمكن أن أجدك ؟ .

ـ الا تأتين معى ؟ .

ـ هل تقصد الليلة ؟ الآن ؟ وبعد كل هذا ؟ .

ـ ولماذا لايكون الليلة ؟ .

وحل اليأس وقالت : كن عاقلا بعض الشيء ياجورج وليس هناك وقت للجدل . وسنتحدث يوم الاثنين . أين يمكن أن نلتقى ؟ أين نجد مكانا آمنا ؟ .

وسيطرت عليه موجة من الاشمئزاز . ماذا يفعل هنا فى هذا البيت الغريب مع هذه المرأة الغريبة بين ذراعيه . وعلى فرض انه القى بها من فوق حاجز السلم فهوت فى بئر السلم الباردة وعلى الأرض الرخامية ، الا يخلصه هذا منها ومما تسببه له من آلام ؟.

وقالت له وهى تتخلص من عناقه وتبعده عنها . وخلى عنها ورآها وهى تترنح وتستعيد توازنها ولاحظ أن هذا الترنح كان شيئا مضحكا .

وسمع نفسه يقول : ساكون فى المدينة يوم الاثنين فقابلينى فى النادى فى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر .

ـ لا . دع النادى فقد يرانى أحد هناك .

ـ اذن فليكن اللقاء فى ذلك الفندق .

ـ هذا أسوأ حالا . اذ لو رآنا أحد هناك ...

ـ اين اذن ؟ .

لقد كان هذا التهامس حماقة . كما لو كانا سيستمران كعاشقين آثمين . ولكنه الآن كان متعبا كل التعب الى حد لايسمح

له بأن يشرح لها كيف أن الموقف الآن قد أصبح مختلفا وأن مايجب عليها الآن هو ان تجعله ينسى أن هناك شخصا يدعى برادفورد .

وقالت بسرعة هامسة : ليكن اللقاء فى محل ليونس عند القوس المرمرى وفى الدور الأول منه فى منتصف الساعة الثانية بعد ظهر يوم الاثنين ، فاذا وافت الساعة الثانية ولم أحضر اعلم أن شيئا ما قد عاقنى عن الحضور . ولكنى سأحضر . سأحضر على نحو ما . فلا تنس محل ليونس عند القوس المرمرى .

وتركته وذهبت .

وانتظر لحظة وسمع صوت غلق الباب وصوت المفتاح يدور فى القفل ثم مضى فى اضطراب الى غرفته .

محل ليونس عند القوس المرمرى . وضغط باصبعه على زر الجرس وسمعه يدق على بعد . ولا بد أن يستجمع نفسه . ونظر فى المرآة . هل توجد فى وجهه آية آثار ؟ نعم اثر احمر الشفاة وملامح الشعور بالاستياء والاشمئزاز . لماذا تستخدم النساء أحمر الشفاه ؟ طلبت مكانا آمنا . محل ليونس يوم الاثنين منتصف الساعة الثانية بعد الظهر . وكان قد قرر أن يصدر تعليماته الى محاميه يوم الاثنين لاتخاذ الاجراءات ضد زوجها .. انه سيلقاها يوم الاثنين . فهل هو يريد ذلك . ألا يريد أن يبرح هذا البيت اللعين وكل من فيه فلا يرى بعد ذلك أحدا منهم ؟ طبعا لن يرى ثانية جيم ولا ويليام ولا تشارلز ولا جوزفين . ولكن هذا هراء . فهم جميعا أصدقاؤه . رجال عرفهم طول حياته يؤيدونه ويقفون بجانبه حتى يخرج من هذه المشكلة . وهى .. هى حبيبته . حبيبة العمر التى ستواجه العالم معه . ستأتى للقائه يوم الاثنين وستقول له مرة أخرى يوم الاثنين انه لا يهمها شيء آخر ، وانه لن يحول بينهما حائل قط وانها لم تعرف من قبل ما هو الحب وهو يصدقها دائما عندما تقول مثل هذا القول وهو يصدقها الآن ، لقد قالت انه ليس هناك شيء يمكن أن يضير حبهما أو يجعله يبدو قبيحا ، وقد اثبتت ذلك . لقد انتظرته عند رأس السلم ، وكان قد جبن ذات لحظة . شيء سيطر عليه وأسف وخجل من نفسه

وتمنى ان لو كان رفيقا معها . لقد كانت على حق عندما رفضت الخروج معه هذه الليلة . فلديه أعمال أخرى يجب القيام بها ، ويجب عليه ألا يعقد الأمور . وكان متعبا ويعلم الله كم كان متعبا، وهذا الشعور بالانهاك وهذه اللهفة الى ترك المسألة كلها وترك الأمور تجرى فى أعنتها لا معنى له .. فما حدث لا يقوم سببا لهذا الشعور والميل الى الاستكانة .. لم يكن ماحدث مهما كل الأهمية .. لقد حاول خنزيران ان يتمكنا منه ولكنه سيردعليهما ودقة بدقة . وهذا طبعا أمر غير مقبول ولكنه بسيط تماما وكان يعرف تماما ماذا يجب عليه عمله . سيتصل بالمحامين صباح الاثنين وسيسرد عليهم الوقائع وسيطلب اجازة . وتساءل أين جندى المراسلة الذى جاء معه . وربما كان هو هذا الذى يطرق الباب أو ربما كان جيم .

وقال : ادخل .

وكان الطارق هو كاندى الجندى بالفرقة الحادية والعشرين وهو ساقيه وخادمه وسائق سيارته . أين جيم ؟ لماذا لم يحضر؟.

ـ احزم حقائبنا ، فنحن راحلان .

ـ الليلة ياسيدى ؟.

ـ نعم الآن وبأقصى ما فى وسعنا من سرعة . احزم الأمتعة حيثما اتفق وبسرعة . وسأساعدك .

* * *

وكان جيم فريشووتر هو الذى جاء اخيرا وادلى اليه بالتحذير من أن أصدقاءه لن يقفوا بجانبه فيما يريد أن يقوم به من عمل . ولم يكن هذا الموقف سوى طعنة صغيرة كشكة الابرة تحت الظفر .. ولكنه اثار اشمئزازه وقتئذ ، ولم يتبين مدى اهميته الا فيما بعد . وتوقع ان يخرج جيم معه فى تلك اللحظة من البيت دون أن يدرى لماذا توقع ذلك ودون أن يفكر فيه . وكان يأخذ جيم امرا مسلما به . وكانت هناك عدة أمور لا يفكر دافيوت فيها بل يأخذها امرا مسلما به ثم يتضح له فيما بعد عندما يفكر فيها على مهل انها لم تأت وفق مايشتهى ويتعجب من ذلك .

وارتعشت يده قليلا وهو يشعل غليونه ويرقب الدخان وهو يتوهج كلما جذب من الغليون نفسا ثم يخمد عندما يبعده عن فمه ثم يعود الى التوهج ثانية عندما يجذب منه نفسا آخر وهكذا ..

وقال جيم : ان ما أريد قوله ياجورج هو ..

وجاء الجندى تاندى من الحمام فى تلك اللحظة وبداه تحملان الزجاجات وقطع الاسفنج وغير ذلك .

وقال له الماجور دافيوت : استمر فى عملك يا رجل .

ـ نعم يا سيدى .

ـ هل اعددت كل شىء يا تاندى ؟ .

ـ نعم يا سيدى .

ـ أين عصى الجولف .

ـ فى القاعة الأمامية ياسيدى .

ـ والبنـادق ! .

ـ فى غرفتى يا سيدى .

ـ حسنا اجمع كل شىء وأعد السيارة .

ـ حسنا يا سيدى .

وحمـل الجنـدى تاندى امتعة سيده وهبط السلم المهجور الصامت وكان فى حيرة من أمر هذا الرحيل المفاجىء فى منتصف الليـل .

وتابع جيم فريشووتر حديثه قائلا :

ـ ان ماأريد قوله يا جورج هو . . .

ـ ماذا سيفعل بها ؟ .

ـ من ؟ مونكسيتون ؟ .

ـ بل برادفورد ..

ـ بجينى ؟ .

ـ كـلا بل بجوزفين ؟ .

وكان جيم بطيئا فى متابعة الحديث وأخيرا قال :

ـ أوه . لقد فطنت الى ماتقصده . ان الأمر سىء جدا .

ـ أين هو الآن ؟

ـ تحت ، مع ويليام وتشارلز . تركتهم جميعا في المكتبة . ويقول تشارلز ....

ـ ماذا يفعل ويليام وتشارلز ؟

ـ انهما يعالجانه .

ـ بشأن ماذا ؟

ـ بشأنك ياصديقي .

ـ من طلب اليهما أن يفعلا ذلك ؟ قل لهما أن يرفعا أيديهما من الموضوع .

ـ اسمع يا جورج . فكر في الموضوع . لاجدوى في اخذ الأمر هذا المأخذ . وما أقوله لك هو انهما متلهفان على أن يقولا لك كلمة قبل ذهابك أن كان ولا بد من ذهابك .

ـ من الذي يريد ؟ .

ـ هما وبقية الرجال فيما عدا جرانت وبرادفورد طبعا ولكن تشارلز بصفة خاصة أشدهم لهفه على الكلام معك . الا تفكر في البقاء حتى الصباح .

ـ كلا يا جيم لن أبقى حتى الصباح .

ـ ان جرانت ذاهب . لن تراه ثانية . الا تبقى ؟ . ان جرانت لن يبقى في خدمة بارني بعد الليلة وانت تعرف أنه مدير اعماله .

ـ لايهمني هذا ماذا يريد تشارلز مني ؟ ولماذا الليلة ؟ انه يستطيع مقابلتي في اي وقت آخر . سأكون في المدينة يوم الاثنين . ماذا يريد على اية حال ؟ .

ـ لا أعرف بالضبط مايريده يا جورج . ولكنهم يصرون وبارني أشدهم اصرارا وصخبا .

ـ وفيم الصخب ؟ .

ـ بشأنك يا عزيزي وبشأن برادفورد وهذه الورطة . الا تستطيع ان تدرك اننا كلنا معك في هذا الشيء ونريد المعاونة ؟ اسمع

يا جورج تعال معى ، فان بارنى وبونتفراكت مضطربان جدا لأنك ستخرج هكذا .

ـ وما علاقة ذلك بهما ؟ .

ـ ان البيت بيت بارنى . وبونتفراكت يعرف عن الدنيا اكثر مما نعرف .

اذن فالدنيا كلها ستتدخل فى الموضوع . دنيا بونتفراكت ودنيا روبر ودنيا ويليام ودنيا سندرفورد . دنيا الناس جميعا . كل الدنيا . نيو ماركيت وشارع سانت جيمس وهوايتهول وهافرشوت والبرلمان وحى المال فى لندن . ولماذا لايدخل أيضا بنك انجلترا فى الموضوع . فروبر يملك هو الآخر بنكا ، وعمارات المكاتب على أية حال . ان سندرفورد سيهديه الى طريقه فى كل ذلك فى بيوت الريف وبيوت المدن والنوادى وأندية السباق ومباريات الجولف . ان كل رجل وكل امرأة وكل طفل فى بريطانيا يعرفون جميعا ويليام كاوبيت وتشارلز سندرفورد ، ومن الأفضل له أن يراهما ما داما هما يريدان رؤيته وسيجرهما معه فى هذه القضية .

ـ حسنا يا جيم . اذهب واحضر تشارلز . وسأنتظر هنا فانى لا اريد مقابلة برادفورد أو جرانت كما تعرف .

ونظر الى ساعته عندما خرج جيم من الغرفة . وبدا له أن سنوات قد انقضت منذ ان انتهت لعبة البوكر ، ومع ذلك فلم يكن قد انقضى أكثر من نصف ساعة . والساعة الآن منتصف الواحدة صباحا . وسيصل الى بيته قبل الثالثة صباحا . وطبعا لن يجد أحدا هناك سوى الطاهى والكلب . اذ كانت آن قد اصطحبت معها خادمتها . وسيبتهج الكلب بعودته مهما كانت ساعة وصوله متأخرة . وانفتح الباب .

ـ حبيبى جورج ! .

وجرت جينى مونكسيتون باسطة ذراعيها ، وثوبها الرقيق الشفاف يجرى وراء ساقيها النحيفتين المعروقتين .

واحاطت عنقه بذراعيها ووضعت خدها على خده وهى تهمهم :

ـ حبيبى جورج ان هذا شديد عليك . يا حبيبى المسكين !

وكان يشعر بالتعب قبل دخولها فزادته شعورا بالتعب بدخولها .
لم تكن تبكى فهى لاتعرف البكاء ، ولكنها أرادت فقط أن تشترك فى المغامرة فهى لاتدع فرصة مثل هذه تفلت منها .

وهى زوجة مونكسيتون وصديقه آن . ومونكسيتون رجل مهذب وآن هى المرأة المهذبة الوحيدة فى تلك الجماعة وهى المرأة الوحيدة التى لم تكن تعرض جنسها . المرأة التى يكلمها الرجل على مستوى عال وهو يضمن أنها لن تجتر هـذا الحديث . كانت آن زميلة دراسـة لجينى وكانتا تمارسان الرياضة ؛ ولا تزال آن حتى الآن تستطيع مسابقة الريح ، أما جينى فلم تحتفظ الا بلعبة واحدة تجيدها . وقد تعفنت ومع ذلك فهى تستمتع بهذا التعفن. وجيم يحبها . كان الله فى عونه .

وتخلص من قبضة ذراعيها وقالت غاضبة .

ــ أين جيم ؟ ظننته هنا وخيل الى أنى سمعت صوته يحدثك.

ــ ذهب ليأتى بتشارلز .

ــ هل يجب أن تذهب الليلة يا جورج ؟ .

ــ نعم .

ــ والى أين انت ذاهب ؟ .

ــ الى بيتى .

ــ هل ستقول ماحدث الآن .

ــ كلا فقد سافرت آن .

ــ سافرت ؟ .

واتسعت عيناها الجميلتان وفغرت فاها .

ــ نعم سافرت الى نيوزيلاند .

ــ هل تعنى انها هجرتك ؟ .

ــ ربمـا .

ــ ولن تعود ؟ .

ــ قد لاتعود .

ــ يالله يالها من فوضى !.

ــ ماذا تعنين بذلك ؟ .

ولكنه فهم كل شيء فجأة وايقن انه لم يكن يجب عليه أن يقول لجيني أي شيء عن آن فهي امرأة خطرة وخطرة جـدا . اذ انهـا ستتكلم وتقول كل شيء للعالم . وسيتدخل العالم في هذا الشيء الذي يخصه هو وحده .

ـ قلت لك هذا لأنك صديقة آن . وارجو ان تحفظي هـذا السر .

ـ طبعا . ولكنها ستعود طبعا .

ـ ولمـاذا ؟.

ـ لتقف الى جانبك في هذه المشكلة بداهة . لابد من أن تفعل هي ذلك . وأية امرأة أخرى تفعل ذلك . وآن امرأة رياضية .

وكان يريد أن يقول : اصمتي واغلقي فمك القذر . . ولكنه قال بدلا من ذلك :

ـ لا اريد ان تعرف آن شيئا عن هذا .

ـ ٤ ـ

استطاعوا ان يجعلوه ينزل الى مكتبه مرة أخرى ، وكانوا جميعا حاضرين فيما عدا جرانت والكابتن برادفورد ، وكان الموجودون هم أصدقاؤه الرجال الذين عرفهم طول حياته أو أغلب عمره ، فـكان يستطيع أن يثق في مشورتهم وفي اخراجه من المـأزق . . اذ كان بونتفراكت وكاوبيت وسندرفورد الثلاثي القوى الذي اذا وقف الى جانب صديق لم يعرف الخوف سبيلا اليه ، لا لأنه كان خائفا بل لأنه كان متعبا ، وكما كانت ملامحهم جامدة لا تنم عن شيء كذلك كان وجهه جامدا كالخشب .

وكان ويليام كاوبيت قد صعد اليه مع جيم ليبلغه أن الغرفة قد خلت من برادفورد وجرانت ، وأن بقيـــة الأصدقاء يريدون رؤيته قبل رحيله. واقنعه كاوبيت بالحضور . وتأبط ذراعه وهما يهبطان السلم في تؤدة ، وكان جيم قد تخلف وراءهمـا ليطمئن جيني ثم هبط يجرى وراءهما ، وأحاط جورج بذراعه قائلا :

ـ نحن جميعا أصدقاؤك يا جورج »

وقال ويليام : لا تنس ذلك يا جورج ونحن جميعا معك سنتحدث قليلا ونتساقى الشراب قبل رحيلك ، ولن نؤخرك كثيرا.

ولكنهم استغرقوا وقتا طويلا فى اقناعه بأن افضل ما يمكن أن يصنعه هو أن يتجاهل كل ما حدث ، وأن يعتبر اتهام جرانت وبرادفورد كأن لم يحدث . ولم يستطع أن يفهم فى أول الأمر ماذا يحاولون أن يقولوه ولم يأخذ الكأس التى قدمها له روبر .. ثم أخذها ولكنه لم يشربها ثم بدا أنه لمس شيئا فى وقفتهم واحاطتهم به وهو يرفع كأسه ونظر اليهم مأخوذا ثم أعاد الكأس الى مكانها ووقف بجوار المائدة الملعونة دون أن ينظر اليهم بل كان ينظر الى الأرض فى هدوء وانتباه وانتظار كما لو كان ينتظر اشارة ذات أهمية قصوى .

ربما كان ارتباكهم هو الذى ادهشه لانهم وجدوا صعوبة فى كيفية البدء بالكلام على نحو فاق كل ما تصوروه . وبدا لكل واحد منهم انه من الأفضل له الا يبدأ هو الكلام . وأخيرا فتح بونتفراكت فمه بالكلام .

قال بونتفراكت : لايبدو لنا أنك ياجورج قد تبينت ...

ثم تنحنح وعاد يقول : اننا جميعا متلهفون يا جورج على مساعدتك فى القيام بالعمل المناسب . ونرجو الا تقدم على عمل متهور ، بل يجب ان تفكر بعناية ، اننا جميعا نعرف طبعا انك لم ترتكب هذا العمل مهما كانت الظروف .. ومستعدون لنقول هذا طبعا فى الشهادة امام المحكمة ولكن الوحل يلتصق بك دائما يا جورج ، واخشى انك حتى اذا كسبت القضية فان الناس سيشعرون ان فى الأمر شيئا على كل حال ، ويؤسفنى ان اقول هذا القول ولكن من الظلم الا ننبهك الى هذا ، وقد تحدثنا فى هذا الموضوع واتفقنا جميعا على أن ننبهك اليه ، فالقضية قضية قول واحد منك ازاء قولين من جرانت وبرادفورد ، اى ان هناك رجلين ضد واحد ، واحد الرجلين معك فى الغرفة ، ففكر فى جدوى ذلك فى المحكمة . ولن يكون الذين يحكمون لك أو عليك

رجالا يفهمونك أو يعرفونك ؟ والقضية قضية مقامرة ومراهنة بمبالغ كبيرة ، ولهذا فهي لسوء الحظ قضيــة مشينــة تعطى انطباعات سيئة ، وخاصة ان مبلغ خمسمائة جنيــه مــال كثير يكسبه جندى فى ليلة واحدة وهو ما يعادل مرتبه طول العام .

وابتسم اللورد بونتفراكت واستطرد يقول :

ـ ثم هناك شيء آخر ، وان كنت لا أريد التدخل فى شئونك الخاصة ، ولـكن اذا صح أن زوجتك هجرتك فان هذا أمر ليس فى صالحك وأرجو الا يكون هذا النبأ صحيحا لعدة أسباب .. أولا لأنى أفكر فى مركزك الراهن ازاء هذه المشكلة فاذا أنت رفعت قضية فى المحكمة وجاء ذكر هجر زوجتك اياك فى الليلة السابقة لهذه الزيارة زاد ذلك من صعوبة موقفك فى القضية .

وقال المـاجور دافيوت :

ـ لا أرى مبررا للزج بـ «آن» فى هذا الموضوع .

وعندئذ كان لون وجهه وعنقه واذنيه قد أصبح قرمزيا .

وظهرت الصلابة فى عينى اللورد بونتفراكت وهو يقول :

ـ انها زوجتك يا جورج واذا كانت قد هجرتك فلابد ان تكون قد هجرتك لأسباب ، وربماكان من هذه الأسباب ادمانك المقامرة .

وقال المـاجور دافيوت :

ـ فهمت ..

واستطرد بونتفراكت يقول :

ـ ليس الأمر بهذه القوة ، ولكنه لن يساعدك فى القضية . وبهذه المناسبة .. متى ذهبت ؟

ورأى كاوبيت أن هذا السؤال مخيف وأراد ان يتدخل فقال :

ـ لا أرى مبررا لـ ...

ولـكن المـاجور دافيوت قال بوضوح :

ـ أقلعت سفينتها صباح اليوم من تيلبورى ان كان هـذا يهمك ..

واستطاع وليام كاوبيت أن يتصور رحيل آن ، وكذلك استطاع جميع الحاضرين تصور ذلك الرحيل ، آن دافيوت تصعد السلم

الى ظهر السفينة ووراءها خادمتها وحمال يحمل أمتعتها دون أن يكون زوجها فى ذراعها لأنه كان فى ذلك الوقت واقعا تحت تأثير السير بيرنارد روبر وبيده بندقيته وجوزفين برادفورد خلفه تتكىء على عصا .

ورفع بونتفراكت يديه فى يأس وقال :

ــ هكذا ترى ان الأمر لا يمكن أن يكون أسوأ من ذلك .

وكان الجميع يرون ذلك .

واستطرد بونتفراكت يقول : اسمع يا جورج .. انى اعرف مايجب عليك عمله ، اعدها الى هنا ثانية ، ستقف السفينة بالتأكيد فى شربورج او فى مكان آخر ، ارسل اليها برقية ، وقل لها انك فى ورطة ، وآن امراة طيبة وستأتى كالريح ، تستطيع ارسال البرقية الليلة او تستطيع ارسالها تليفونيا ، اليس كذلك ياباروني؟ .

ــ بالتأكيد .

وكان السير بيرناردو روبر على اهبة دائما للمساعدة فأسرع نحو التليفون .. سأتصل لك بلندن يا ماجور دافيوت .

ــ كلا وشكرا لك .

وكان وقع العبارة هذه كوقع ضرب الريح بالسوط ثم اتبعها بقوله : وأرجو أن تكف عن مناقشة موضوع زوجتى .

وقال اللورد بونتفراكت :

ــ حسنا يا جورج سنخرج زوجتك من الموضوع . ولكنى أشير عليك بعرض الموضوع على رئيسك الكولونيل واطلب منه إجراء تحقيق ، ولكنى أرى ان الكولونيل ووزارة الحربية لن تنظر بعين الرضا الى مقامرتك ولن تتهاون فى شانها .

ــ هل تريد أن تقول لن يصدقونى ؟ .

وشحب لون الماجور دافيوت .

ــ طبعا لن يصدقوك ، وهناك رجلان يقولان انهما رأياك وأنت تغش فى لعب الورق . رجلان لا رجل واحد واحدهما زميل لك فى الفرقة يهمه شرف الفرقة كما يهمك وليس لديه دافع آخر يدفعه الى الرغبة فى اهانتك كما قال لك الآن .

ـ هل قال برادفورد ذلك ؟.

ـ نعم هذا هو ما قاله وفي رأيي ...

ـ متى قال هذا ؟ .

ـ منذ نصف ساعة .

ـ اذن تحدثتم في الموضوع مع برادفورد ؟ .

ـ بالتأكيد . أي أن سندرفورد هو الذي قام بمهمة الكلام .

وهكذا عاد اللورد بونتفراكت من موقف القاضي الى موقف الدبلوماسي المهذب العبارة المنمق الحديث وهو يقول :

ـ انا سعيد لأنه فعل ذلك ولا أعتقد أن سواه كان مستطيعا ان يجعل برادفورد يشعر بأنه سيكون سيء الحظ جدا لو انك رفعت ضده قضية .

ـ ولكنك قلت انه من سوء حظي انا أن أرفع قضية .

ـ ان الأمر يكون كارثة لكليكما ، أليس هذا هو استنتاجنا يا روبر ؟ .

ـ نعم بالتأكيد .

وقال جيم فريشووتر ولم يكن قد تكلم بعد !

ـ نعم بحق الله . فان الصحف ستخوض في الحديث عن هذه الأمور الخاصة وتكشف عنها لعامة الناس . وسيكون الأمر شديد الوطأة على جيني مونكسيتون وسيكره مونكسيتون مثل هذا الوضع . ان جيم مع جورج قلبا وقالبا ، ومع ذلك فانه كان يخشى تأثير هذه القضية على جيني وعلى زوجها .

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة صباحا . وقد سمع جورج كل ما كان يجب أن يسمعه على كل حال ، وشعر ويليام كاوبيت بوطأة الموضوع على جورج دافيوت ولهذا قال بحرارة :

ـ لا أريد منك يا جورج أن تعير هذا كله اهتماما ولا انكر ان قضية من هذا النوع سوف تكون شرا علينا جميعا وخاصة والأحوال السياسية سيئة في داخل البلاد وخارجها وهي تسير من سيء الى أسوأ ، ولكني أرجو أن تصدق أني لا اتكلم عن نفسي ولا عن أي واحد آخر بل عنك انت عندما أتوسل اليك الا ترفع

الأمر للقضاء . واتوسل اليك أن تغض البصر عن الحادث من أجل مصلحتك أنت . وبرادفورد وجرانت مستعدان لنسيان الموضوع وقد وعدانا بذلك كما وعدانا بألا يذكرا شيئا عنه لأحد . واعتقد أننا نستطيع الاعتماد على وعدهما هذا لا لسبب سوى اعتقادهما أنه في حالة نكثهما هذا الوعد فانك سترفع القضية ضدهما .

ـ وما رأيك أنت يا تشارلز ؟ .

ـ لا أنصحك برفع قضية يا صديقي لأني واثق من أنك ستخسرها .

ـ ولماذا ؟ .

ـ لأنك لن تستطيع اثبات أن لدى برادفورد سببا يدعوه للكذب وهكذا لن تستطيع اثبات أنك لم تغش .

ـ فهمت .. فهمت أنكم بحثتم هذا الموضوع مع برادفورد وجرانت وقد وافقا على كتمان الأمر اذا أنا فعلت مثل ذلك . وأنتم تنصحونني بعدم الاقدام على أى عمل . أليس هذا صحيحا ؟

واعربوا عن موافقتهم بالصمت ، وساد الصمت هنيهة ولكن الريح بدأت تثور في الحديقة .

وفحص الماجور جورج دافيوت وجوه أصدقائه في صمت ثم قال :

ـ حسنا . ستمضى الأمور كما تشاؤون .

وذهب قبل أن يدركوا ما هو حادث . ولابد أنه ذهب مسرعا الى الباب الأمامي ولابد أن الجندى كان واقفا مستعدا خارج سيارته ، لأنه عندما اسرع سندرفورد وكاوبيت وفريشووتر وراءه كان الماجور دافيوت قد أدار محرك سيارته ومضت به . ونادوه جميعا يستوقفونه ولكنه لم يرد .

ـ ٥ ـ

« محل ليونس . . القوس المرمرى » .

ودخلت جوزفين برادفورد سيارة التاكسى ونظرت الى ساعة معصمها ورأت أن الساعة هى الواحدة والدقيقة الخامسة

والعشرون ، وأتمت زينتها واخرجت علبة سجايرها وأشعلت منها سيجارة ونفثت الدخان وهي تفكر .

كانت تريد أن تؤدي صنيعا لجورج ، ولم تكن واثقـــة كيف يكون اداؤها هذا الصنيع . لقد قام بعمل عظيم من اجلها . وكانت تعرف كم كان يكلفه تحمل هذه الكذبة . وكانت تريد أن تكون مثله نبلا حتى وان كلفها هذا الطلاق من برادفورد . لقد حصل برادفورد على ما يريد أو بعض ما يريد . لقد اراد الحط من قيمـة جورج وان يجعل من المستحيل عليـه أن يلتقي بجوزفين ، ولم يستطع الحط من قيمة جورج طبعا ، فقد فشل في هذا . ولكنه نجح في أن يجعل من الصعب عليها أن ترى جورج . فكيف تستطيع المضي في الحياة مع برادفورد بعد هـذا ؟ فالحياة مع برادفورد جحيم لا تطاق . ومن ناحية أخرى فانها لو هربت مع جورج الآن لـكان عليه أن يرسل أوراقه وتتكشف القضية كلها للناس ، وتصبح هي اكثر النساء نصيبا من كلام الناس في جميع انحاء انجلترا وبهذا يفوز برادفورد وينتصر . ومن المؤكد انه سيخسر جوزفين ولكنه سينتقم من جورج ، وسيؤيده جميع الناس . وقـد فعل جورج طبعا ما فعله ليعفيها من هذا النوع من المتـاعب ، ترك برادفورد ليبعـدها هي عن التورط في مشـكلة .. يا لله ! لـكم أصبحت المشكلة معقدة ، لم ترد طلاقا ثالثا ، وكفاها أنها طلقت مرتين .. ولكنها لن تتخلى عن جورج الآن بعد كل الذى فعله من اجلها ، ولم يكن في العالم رجال كثيرون يتجاوزون عن اهانة من هذا النوع من أجل امرأة .

يا لها من عطلة نهاية أسبوع رهيبـة ! ولـكن انتهى كل شيء الآن ، وهي الآن في طريقها الى جورج . وكانت قد قالت له من قبل : اذا لم أصل قبل الساعة الثانيـة كان معنى ذلك انه حيل بيني وبين الذهاب الى هناك ، ولـكن لم يحل شيء أو أحد دون ذلك ، ولن تتأخر عن منتصف الساعة الثانية الا عشر دقائق .. ولم يجرؤ برادفورد على أن يمنعها من الذهاب الى المدينـة ، بل ولم يقل كلمة واحدة عنـدما قالت له انها سـتبقى مع جيني في بلومبتون حتى يوم الاثنين ، ثم تذهب معها الى لنـدن لقضاء يوم

الاثنين هناك ، لقد أتى عملا مشينا جدا ويخشى الآن ما قد عساها تفعله ، أم تراه يرى أنه لم يعد هناك شيء يخيفه ولو رأى هـــذا الرأى لـكان احمق . وكذلك كان جورج أحمق عندما طلب منها فى مساء السبت أن تذهب معه وتتحدى العالم الى جانبه بينما هو يكافح ضد برادفورد فى المحكمة بشأن قضية الغش : أحمق ولـكنه أحمق كبير ، ولكنه لحسن الحظ تبين استحالة الذهاب مع زوجة رجل ، ثم يقاضى هذا الرجل بتهمة القذف .

رجلان يتقاتلان من أجل امرأة ، وأخذت تنظر الى حركة المرور من خلال جفون شبه مغمضة ، اذا تبينت شعور برادفورد فهـل كان هذا يوقفها ؟. طبعا لا .. كانت تعرف جيدا انها تلعب لعبـة خطرة وكان ذلك جزءا من المرح . وعندما تحب رجلا على النحو الذى كانت تحب عليه جورج فلا شيء يمكن أن يوقفها .. لا شيء .

كان هذا هو الذى دفعهـــا الى الجنون عندما سمعت صوت سيارة جورج وهى تمضى ، لقد انتصر برادفورد عليها اذ أقدم على عمـــل الشيء الذى يمكن أن يفصلها عن جورج وستقضى الليلة الرهيبة والابواب مغلقة عليها تلعن جورج وتسبه بأنه احمق وتلعن برادفورد وتسبه بأنه وغد اثيم ، وتتوقع ان يطرق عليها البـــاب ويصر على الدخول ، ولـكنه لم يفعل ، بل انتظر حتى الصـــباح ليقول لها انجورج قد تنازل عن كل شيء ، فغيرهذا القول كل شيء وكل تدبير . ما كانت مستطيعة أن تترك برادفورد ان شاء جورج أن يحطمه وأن يتسبب فى طرده من الجيش ، فقد كان برادفورد يحبها وكان يغار عليها طبعا ، ولا تستطيع أن تلومه لأنه يكره جورج فقد كانت الغلطة كلها غلطتها هى ، وهى لا تستطيع أن تســـلك سلوكا غير هذا السلوك الذى يسبب لها المتاعب مع الرجال ، فهى لم تخلق لتكون زوجة . وقد فعل جورج فعلا نبيلا من اجلها ، ولم يقل برادفورد ذلك طبعا ، بل دخل غرفتها فى الصباح وراء مائدة الافطار وتظاهر باحتقار جورج اذ ظل واقفـا حتى خرجت الخادمة من الغرفة وقال :

- قد يهمك ان تعرفى ان صديقنا جورج هددنى فى الليـلة

المـاضية بمحاميه ، ولكنه بعد أن فكر فى الأمر قرر أن الأسلم له الا يفعل شيئا .

ـ ماذا تعنى بقولك الا تسلم ؟.

ـ ان اثارة ضجة عامة لن تفيده شيئا وتمت المساومة بيننا.

ـ أية مساومة ؟.

ـ ان يتجاهل ما قلته أنا وجرانت فى الليلة المـاضية مقابل أن نعده نحن بالتزام الصمت ازاءه .

ـ وهكذا عفا عنك بسهولة ؟

ـ أنا الذى عفوت عنه .

ـ لاتكن أحمق يابرادفورد . لقد نسيت أنى أعرف انك كذبت امس .

وكانت تنتظر أن يهجم عليها فيضربها ، ولو لم تـكن فى حال عصبية لمـا قالت هذا القول فى وجهه .

ـ لقد رايته يغش فعلا .

ولم تشأ أن تناقشه بل قالت :

ـ حسنا أنكما تعقلتما بحمد الله وانتهت الأمور بسلام .

ولـكن الأمور لم تكن قد انتهت بل كان كل شيء معلقا .

صحيح أن لعبـــة الورق انتهت دون أن يحـدث عنها ضرر كبير بفضل جورج ، ولـكن الله يعلم ان جورج كان ينتظر منها أن تفعل شيئا الآن ، فما هو هذا الشيء ؟ هذا هو ما ستعرفه الآن ، وسيكون جورج فى انتظارها .

ولكنها وصلت الى الموعـــد ولم يصل جورج وانتظرت حتى الساعة الثالثة والقلق يكاد يقتلها فى كل دقيقة تمر بها وهى فى الانتظار ويئست من حضوره ، ولـكنها قررت فى هذه اللحظة الا تدعه يفلت من يدها .

* * *

ولم يكن جورج قد نسى الموعد بل كان كل ما نسيه حتى بلغ منتصف الطريق الى بيته هو انه لم يجد فرصة لابلاغها ان كل شيء

قد تغير ، ولكنه خطر بباله انها ستسمع نبأ ذلك من زوجها وستعلم أن موعدهما قد الغي وانه لن يذهب الى المحامين .

ووصل الى بيته واستراح قليلا ثم آوى الى فراشه محاولا الا يفكر فيما مر به من احداث أو فى آن التى هجرته او فى جوزفين التى يحبها والتى عرض عليها أن تهرب معه ولكنها رفضت. كيف يمكن أن يقاضى رجلا بينما هو يحتفظ بزوجته ، وأخيرا فعلت عندما رفضت ذلك ، أما الآن فلن تكون هناك قضية ولا بأس فى استئناف علاقته الغرامية مع جوزفين ، وسيمضى مع برادفورد فى الفرقة ، وكأنه لم يحدث شىء قط بينهما ، فيشترك معه فى المناورات العسكرية وفى تناول الطعام وكل شىء آخر الا الخيمة التى ينامان فيها أثناء المناورات .

ولكن كلا . هذا هو الشىء الذى لا يستطيعه ولابد لأحدهما من أن يغير مكانه ، فهو مثلا يطلب نقله الى فرقة البنادق الافريقية ولكن لماذا يكون هو الذى يغير مركزه ؟. ان هذا غير محتمل .

وقد دهش يوم الثلاثاء عندما وصلته رسالة من جوزفين تقول فيها انها ذهبت الى لندن يوم الاثنين كما اتفقا ، وانتظرته فى الموعد المحدد من منتصف الساعة الثانية حتى الساعة الثالثة . ماذا ؟ . لماذا لم يحضر ولابد لها من أن تراه غدا فى « بينتون وود » فى منتصف الساعة الرابعة .

وتبين أنه لابد له من أن يذهب الى هذا الموعد طبعا ، وتساءل كيف لم تفهم ما حدث . ولهذا استقل سيارته وذهب بها الى بينتون وود .. وعندما رآها قادمة على ظهر جوادها فى تلك الغابة بين الأشجار ، عرف أنه لم يعد يحبها ولا يريد ان يلمسها ثانية ، وكان آسفا لانها ذهبت الى لندن وانتظرته ولابد ان الانتظار كان قاسيا عليها ، ولهذا فهو مدين لها بالاعتذار ، فقد اعطته شيئا يجعله مدينا لها دائما وسيكون شاكرا لها دائما . رآها الآن مثيرة مغرية كعهده بها دائما ، ولكن بدا له ان لمسه اياها أمر مناف للذوق . وكان آسفا جدا لانه لم يستطع أن يقول لها ، انهما لا يمكن أن يمضيا فى سلوكهما هذا كلاهما نحو الآخر . وظلت على ظهر جوادها وظل هو فى سيارته .

ـ لماذا لم تحضر ؟ قلت لك انى أريد مقابلتك وتجشمت مشقة كبيرة حتى وصلت فى الموعد .. كذبت على برادفورد عدة اكاذيب وأخيرا لم أجدك . وانتابنى القلق والاضطراب وأنا انتظر حتى الساعة الثالثة وظننت ان شيئا مخيفا قد وقع . ماذا حدث ؟ .

ـ لا شىء يا عزيزتى .. ظننت ان الامر قد انتهى .

ـ لماذا ؟ وماذا تعنيه ؟ لقد كانت آخر عبارة منى لك محل ليونس عند الناصية يوم الاثنين منتصف الثانية .

ـ أعرف هذا ولكن كل شىء تغير بعد ذلك .

ـ ماذا تغير ؟ .

ـ بعد أن تركتك أقنعونى باخلاء سبيل برادفورد .

ـ وما علاقة هذا بما بينك وبينى ؟ .

ـ الا ترين هذه العلاقة يا عزيزتى ؟ .

ـ كلا على الاطلاق . لا أستطيع أن أفهمك يا جورج . لقد ظننت انك أخليت سبيل برادفورد من اجلى .

ـ كان هذا بالتأكيد من بين الاعتبارات التى دعتنى الى اخلاء سبيله .

ـ ماذا تعنى بهذا القول ؟ .

ـ اعنى أنى اردت الا ازج بك فى موضوع كهذا .

ـ وهذا هو ما خطر ببالى . اذن فما هى المشكلة ؟ ماذا حدث لك . لقد قمت بعمل نبيل وشكرته لك وكنت مستعدة للقيام بأى عمل ، ثم تصبح أنت هكذا .

ـ أنا آسف يا عزيزتى ولكنى آسف لأن الأمر لم يكن هكذا .

ـ ما معنى هكذا ؟ .

ـ نبيلا كما وصفته ، فانى لم اخل سبيل برادفورد لأى سبب نبيل .

ـ هل تعنى انك لم تقم بهذا العمل من اجلى ؟ .

وأراد أن يوضح لها الأمور ، وشعر أنه مدين لها بهذا التوضيح وبأن يكون صادقا على أن يكون لطيفا فى نفس الوقت ، ولكنه كان متعبا جدا الى حد لا يسمح له بتكرار ما حدث ، ولهذا قال :

ـ لما كنت لا أريد الزج بك فى الموضوع بالكشف عن حقيقة دوافع برادفورد رأيت أن القضية ميئوس منها .

ـ اذن فأنا كنت مجرد حائل ؟ هل هذا هو ما تحاول أن تقوله لى ؟ .

ـ كلا يا عزيزتى .

ـ بدأت أفهم . كنت أنا مثار ازعاج ، وبسببى اضطررت لتقبل اتهام الرجلين اياك بالغش .

ـ أرجوك يا جوزفين !

ـ أليس هذا صحيحا ؟ عندما قابلتك عند رأس السلم أردت منى أن أهرب معك . وعندما فكرت فى الأمور غيرت رأيك . أليس كذلك ؟ .

ـ نعم يا جوزفين ورأيت ان أفضل ما يمكن عمله هو تجاهل الموضوع كله ونسيانه ، وعلى ضوء هذا فانه يجب على وعليك ..

ـ هذا هو نفس ما قاله برادفورد ولم أصدقه ، فقد قال انك فكرت فى الأمر ، ورأيت ان السلامة فى ألا تقدم على رفع قضية ولهذا ساومته ، تكف أنت عن رفع القضية ويلتزم هو جانب الصمت . ما رأيك فى هذا القول يا جورج ؟ .

ـ لا شيء .

ـ هل هو صحيح ؟ .

ـ صحيح .

ـ يا لله ! وأنا التى كدت أن أهرب معك مساء السبت . كنت أظنك ستدافع عن نفسك .. ظننتك . يا لله ! هل كنت تريد منى أن أهرب معك تلك الليلة عندما كنا عند رأس السلم ؟ .

ـ نعم يا عزيزى أردت ذلك .

ـ والآن لا تريد ؟ .

ـ بالتأكيد .

ــ كيف تجرؤ على الـكلام معى على هذا النحو ؟ لقــد كنت مجنونا بحبى مساء السبت واليوم تهيننى . ماذا حدث ؟ ماسبب كل هذه المفارقات ؟ هل انت خائف ؟ هل ارتكبت جريمة الغش فى لعب الورق ؟ .

ولم يملك الا أن يحدق النظر فيها ، كان وجهها قبيحا وتفكيرها عاميا ، ومما لا شك فيه أنه كان يبدو أحمق وهو يستمع الى هذا القول ، وعلى كل حال أصبحت هى تراه ذلك الأحمق .

ــ ولــكن هذا هزل مضحك جدا .

وانفجرت تضحك ضــحكا هستيريا وكان فى طريقة ضحكها شىء وحشى مخيف .

ولــكنه استجمع قواه وقال :

ــ كفى عن هذا يا جوزفين وكونى عاقلة .

ولــكنها لم تكف بل صاحت بعد ضحكها :

ــ يا الهى ! انك أحمق .. يا الهى ! لــكم كنت حمقاء ..

وأدارت جوادها ومضت .

ــ ٦ ــ

وانشغل كاوبيت وسندرفورد عن التساؤل حول نوايا جورج وان كانا يعتقدان فى اعماقهما أن الأمور لابد منتهية الى قضيــة تعلن فى المحكمة ، أما ما هو منشأ هذا الاعتقاد فهذا أمر لم يخطر ببالهما بحثه . وانقضت اسابيع على هــذا الحادث دون أن يرى أحدهما جورج . وندما فيما بعد على أنهما سمحا لنفسيهما بعدم السؤال عنه عندما قابلا جيم فى النادى قبيل عيــد الميلاد وقال لهما هو الآخر انه لم ير جورج منذ ذلك الحادث .

وسأله ويليام : وكيف ذلك ؟.

وكان ويليام يعرف ان كلا الصديقين جورج وجيم لا يستغنى عن صحبة صاحبه .

ولــكن جيم قال : يبــدو انه لا يريد رؤية أحــد ولم يزرنى كعادته ولم يرد على رسائلى .

ــ الم تزره لترى كيف حاله ؟ .

ــ كلا فقد كنت بعيدا عن المدينة ولم اعد الا منذ وقت قريب

ـ اذن فانت لا تعلم شيئا عن جورج .

ـ كلا ولكنى أظنه سيقضى عيد الميلاد عند اللورد بونتفراكت

وهكذا تفرقوا بمناسبة عيد الميلاد ، فجيم ذهب لقضاء هـذا العيد مع أمه وأبيه فى بيتهما القديم الذى لايعترف بمرور الزمن ووليام ذهب ليقضيه مع أفراد أسرة كاوبيت المرحين ، وسندرفورد ذهب الى كورسيكا مع سيدة مجهولة حيث يبقيان حتى منتصف يناير . وعندما التقى وليام وتشارلز ببونتفراكت مصـــادفة لم يستطع ولم يشأ أن يدلى اليهما بأية أنباء عن جورج ، ويبدو أن جورج لم يذهب الى قصر بونتفراكت .

وفى ذلك المساء أبرقا الى جورج يدعوانه للعشاء فى أقرب فرصة ممكنة ، ولـكن البرقيـة لم تسلم للمرسـل اليه اذ كان المـاجور دافيوت غائبا ، وكان فى بيته سكان آخرون لا يعرفون عنوانه . فانشغل وليام واتصل تليفونيا بالكولونيل ستانديش ، وقال الكولونيل له أن المـاجور دافيوت فى أجازة قـدرها ثلاثة أشهر منذ قبيل عيد الميلاد ليقضيها بين أهله فى غرب انجلترا ، ولم تكن زوجته معه اذ هى تقضى فصـل الشتاء فى نيوزيلاند . وكان الكولونيل مهذبا جدا ولكن اجاباته قصيرة مقتضبة .

وقال وليام لتشارلز :

ـ ان الوضع غريب فبيت جورج فى غرب انجلترا مغلق منذ خمسة عشر عاما وهو مهـدم تقريبا ولم يذهب جورج اليه قط خـلال الخمسة عشر عاما المـاضية ، وكثـيرا ما قال جورج انه لا يستطيع اصلاح البيت والاقامة فيه لمـا يتكلفه هذا الاصلاح من مال كثير على تركيب أدوات الكهرباء واصلاح الحديقة والاحتفاظ بقوم يعيشون فيه لحراسته ، ولابد من تعمير حظيرته بجياد هى ضرورية للصيد فى اقليم تنتشر فيه هذه الرياضة ، وهناك لايمكن أن تعيش الا على النحو الذى كان يعيشه ابوك وجدك قبله .

ومع ذلك أرسل وليام خطابا الى جورج بعنوانه فى غـرب انجلترا ، ولمـا لم يرد رد استنتج أن جورج يريد أن يعيش بمعزل عن الناس ، وقال :

ـ ليكن .. له ما يريد ، ذلك أن وليام لديه ما يشغله ولكنه قال لتشارلز :

ـ ليت زوجته تعود اليه فيعفينا من القلق عليه .

ولكنهما لم يكونا مستطيعين الكتابة لـ«آن» بذلك ، اذ تذكرا ما فعله جورج بجيم اذ نهره عندما اقترح عليه أن يطلب الى آن أن تعود .

وكانا جالسين . سندرفورد والمرأة التى عادت معه من كورسيكا فى فندق سافوى تلك الليلة ، وصفر تشارلز سندرفورد وعيناه تتجهان الى اللذين يرقصان على أنغام فرقة الفندق الموسيقية الرائعة أحدهما هو مستر جون جرانت وزميلته هى جوزفين التى كانت مستسلمة له بصورة تدمغ بنات جنسها بالوقاحة والفجور .

لم يكن هناك حد لخيانة ووقاحة المرأة ، ولما مرت جوزفين بالمنضدة التى جلس اليها سندرفورد ابتسمت له ابتسامة وقحة وهى بين ذراعى جرانت .

وقال سندرفورد للسيدة التى معه :

ـ هلمى بنا أوصلك الى بيتك فى تاكسى ولا توجهى الى اية أسئلة فأنا الآن شديد الكراهية لبنات جنسك .

وعادت جوزفين بعد الرقص الى المنضدة التى جلس اليها بيرنارد روبر وكانت آلة الساكسوفون تعزف ويعلو صوتها فوقا أصوات الآلات الاخرى . وسألت جوزفين رئيس السقاة عن جورج ، فقد كان من عادته أن يرتاد هذا الفندق ، ولكن رئيس السقاة قال انه لم يأت الى هذا الفندق طول فصل الشتاء .

ويبدو أن جورج دافيوت لم يذهب قط الى اى مكان من الأماكن التى تعودوا ارتيادها ، ولم تكن هناك اية أنباء عنه ، ولم يره أحد منذ فصل الخريف ، ومر شهر فبراير وانتصف شهر مارس ولم يرد نبأ عن جورج ، وكانت الأحوال المالية والسياسية فى بريطانيا سيئة كما كانت خارج بريطانيا ، فكانت اوروبا جائعة لموجات البرد والصقيع التى انتابتها واخذت حكومة العمال فى

بريطانيا تصرف الملاليم على مليونى عامل متعطل بينما الأغنيـــاء ظلوا كما هم لا يشعرون بشىء مما يجرى حولهم ويصرفون اموالهم بسخاء فى الملذات والمباهج .

وكان برادفورد وزوجته جوزفين من هؤلاء المحظوظين وكذلك السير بيرنارد روبر واللورد فريشـــوونز ، وكثر ظهور الـكابتن برادفورد وزوجته فى ميادين سباق الخيل وحفلات الصيد .. وقضوا كثـير من عطلاتهم فى قصر السير بيرنارد روبر ، وكانت جوزفين كثيرا ما تظهر فى لندن فى صحبة المـالى الكبير بيرنارد روبر ، وكثـــيرا ما كانت جينى مونكسيتون وجيم فريشـــووتر يصحبانهما فى الملاهى والمنتديات ، ولـكن فريشووتر لم يستطع أن ينسى صديقـــه جورج دافيوت ، وكانت ذكراه تفســـد عليه استمتاعه بهذه المباهج ، ولـكن كان عليـــه أن يختار بين جورج وبين جينى فاختار جينى ، ثم جاءت مرة كان عليه فيها أن يختار بين جورج وبين بيرنارد روبر ، وهو مدين لروبر ، وبه الآن حاجة ماسة الى استدانة المزيد من الأموال فاختار روبر ومع ذلك فقد بدأ يرى فى روبر ثقلا شديدا نظرا لاهتمامه الشديد بجينى فى الآونة الأخيرة ، وازداد ثقلا فى نظـر فريشووتر بعد أن أقبـل اقبالا هائلا على جوزفين برادفورد لا لانه يهمه شـخصيا بل رثاء لصديقه جورج وهو يعلم العلاقة بين جورج وجوزفين .. ولـكن جينى كانت تهون عليه الأمر بقولها انه لن يضير جوزفين مجالسة أحد آخر غير جورج ما دام جورج غائبا هكذا ،كما أن جوزفين وروبر لن يقولا شيئا عما بينهما من عـلاقات ولن يقولا كلمـة سوء عن جورج دافيوت .

وفعلا لم يقولا شيئا وقتئذ ، ولـكن روبر بدأ يتحدث عمـا جرى فى ذلك الحفل بين دافيوت وبرادفورد وجرانت فيما بعد عندما عادت آن واضطر جورج الى تكليف محاميه برفع القضية ، وكان بيرنارد روبر وهو يتحدث عما جرى فى ذلك الحفل يتحامل على دافيوت ولم يكن دافيوت يعلم شيئا عن العلاقات القائمة بين روبر وجيم جوزفين ؟ او لعله كان يعلم . ثم تفرق هـــذا الجمع الرباعى الذى يجمع بين جيم وجوزفين وجينى وروبر والذى كان

يرتاد المسارح والنوادى والملاهى فيملؤها مرحا اذ ذهب روبر فى رحلة بيخت فاخر فى البحر الأبيض المتوسط تاركا لندن بظلامها وفقرها وارتباكاتها المالية .

ولم يسمع كاوبيت ولا سندرفورد بذلك الا فيما بعد اذ كانا مشغولين بسوء احوال الأمة البريطانية سياسيا واقتصاديا بل انهما لم يشغلا نفسيهما بامر صديقهما جورج دافيوت وان لم يستطيعا نسيانه تماما . وقد انقضت شهور أجازته الثلاثة ، فلابد أن يكون قد عاد الى مقر فرقته فى هافرشوت . ولكن لماذا لم يرسل اليهما حتى مجرد اشارة ؟ ! وفى ذات يوم علم سندرفورد من بواب نادى بلاك أن الماجور دافيوت قد جاء الى النادى وذهب فجأة ، وكان دافيوت قد عاد من اجازته فى آخر شهر فبراير وجاء الى لندن ، ثم اختفى فجأة ولم يدر البواب سبب ذلك ولكن كان هناك آخرون يعرفون لماذا اختفى دافيوت فجأة . كان قد التقى فجأة بشخص يدعى جرانت وهو عضو جديد بالنادى وصفعه على وجهه فى القاعة الكبرى بالنادى وبعد ذلك جرى جرانت مختفيا كالأرنب . ومر هذا الحادث دون أن يفطن اليه أحد ، لولا أن دافيوت ذهب راسا الى سكرتير النادى وسأل بصوت عال عما يفعل مثل هذا الشخص الحقير فى هذا النادى المفروض فيه بأنه ناد محترم . وفى هذا اليوم التالى رحل عن المدينة ولم يظهر فى النادى بعد ذلك .

ثم وقع حادث آخر بعد ذلك فى نادى بول مول . ولم يعرف سندرفورد متى حدث ذلك الحادث ولا ماذا كانت تفاصيله بالضبط ، وكل الذى علمه سندرفورد هو أن جورج دافيوت دخل النادى ووجد ثلاثة من الأعضاء يلعبون الورق ويريدون رابعا لهم فى لعبة البريدج ، وعرض دافيوت أن يشترك معهم . ثم تذكر الثلاثة فجأة انه عليهم أن ينصرفوا فورا اذ كان كل منهم مرتبطا بموعد فى مكان ما ، ولكن سندرفورد لم يصدق هذا .. ولم يصدق ان قصة لعبة البوكر قد بلغ نبؤها هذا النادى أو غيره من النوادى دون أن يسمع هو بها ، وتصور أن جورج قد خيل اليه

أن هؤلاء الأعضاء الثلاثة لم يشاؤوا اللعب معه ، مع أنه من المحتمل أن هؤلاء الأعضاء كانوا على وشك الانتهاء من اللعب عندما جاء جورج اليهم ، فما كاد يجلس حتى كانوا قد انفضوا فتخيل ماتخيل جورج دافيوت البارع في اللعب والذى كان يلعب معه مصدرا للفخر والتكريم ، لم يعد أحد يلعب معه أو مستعدا لأن يخسر معه ماله بعد أن تناقل الناس نبأ حادث لعب البوكر وان كان هذا قد تم سرا وهمسا وسرى الهمس يوجه أصابع التحذير .

كل هذا تم قبل شهر مايو ، وفى ذات يوم سمعت سالى زوجة ويليام كاوبيت اسم جورج دافيوت وقصة حادث لعب البوكر فى قصر روبر ، ونقلت النبأ الى زوجها الذى تأكد من أن القصة قد ذاع أمرها . وعاتبت سالى زوجها لاهماله جورج وتركه هكذا تلوك الأفواه اسمه . وقالت له ابحث عن جورج وساكتب أنا الى زوجته .

واتصلا بجورج فى المعسكر فقيل لهما انه فى لندن يقيم فى فندق بالمورال هاوس . وذهبا الى الفندق حيث وجداه وقالا له ان قصة لعبة البوكر قد انتشرت فى لندن ، وقال جورج ان كاوبيت جاء متأخرا عن موعده شهرين ، فقد علم هو القصة منذ شهرين ولهذا اعتزل الناس فى هذا الفندق . وقال جورج :

ــ لقد أردت انت وسندرفورد أن يتم الأمر على هذا النحو وقد تم ، واعتذر له كاوبيت ، ولكن جورج قال ان كل ما يرجوه أن يدعه وشأنه وألا يراه أحد .

وانقضت ثمانية أشهر لم يفعل جورج خلالها شيئا يبرىء به نفسه من تهمة الغش ولم يكن مايدلى به من بيان للمحكمة عما فعله خلال الأشهر الثانية مقنعا .

وأبرقت سالى كاوبيت لـ « آن » : « جورج فى مأزق خطير .. وفى حاجة اليك ، احضرى فورا .. »

ولم تتوان آن فى الحضور وجاءت بسرعة ولكن زوجها كان يحيا حياة مزدوجة بين هافرشوت وبايزووتر قرابة أربعة أشهر ، وعندما جاءت لم يبد عليه ان لديه شيئا يريد الادلاء به اليها .

وبدا لها ان زوجها ليس سليم العقل تماما ، لم يكن مجنونا طبعا ولـكن كانت له أراؤه الغريبة وافكاره المسيطرة عليه ، فمثلا لم يعد يخرج للنزهة مع كلبه الا في الظلام وكان يعتقد انه لا بد من تخليص الفرقة من برادفورد بهدوء وبدون ضجة . وكان يعتقد انه فعلا شديد الوطأة على برادفورد وانه لو استمر في الضغط عليه هكذا لاضطره الى ترك الخدمة في الفرقة ، وانه لو رفع قضيـة قذف ضد برادفورت وجرانت لـكان هذا العمل عـلامة ضعف وازدياد شعور بالاثم . كان قد قرر يوم ٢٩ اكتوبر أن يرفـع اية قضية ايمانا منه بأنه برئ من تهمة الغش وان الأمر لا يستحق رفع اية قضية ، كان ذلك منذ ستة اشهر ولا يزال صحيحا اليوم أما اذا طرده نادى بلاك من عضويته فانه يجب عليــه أن يرفع القضية .

وكان على آن أن تخمن معنى كل هذا ، وكان عليها ان تحصل على كل ما تستطيع الحصول عليه من حقـائق يدلى بها الآخرون اليها وأن تجمع هذه الحقائق جنبا الى جنب ما وسعها ذلك وأن تستنتج الباقى ، ولقد كان هذا الجهد شاقا عليها ولكنها عانته لحسن الحظ ، اذ أفاد وقوفها على كل هـذه الحقائق فى شرح الموضوع للمحامين عندما قرر جورج أن يرفع القضية لان جورج لم يكن مستطيعا شرح الملابسات جيدا اذ لم يستطع المحامون أن يفهموا الجزء الخاص بأصدقائه أو طريقة سـلوكه معهم ولماذا تجاهلهم وفض يده منهم وعندئذ قالت آن :

ـ ان هذه هى طريقة جورج فى السلوك .

وعندما قالوا لها ان هذا السلوك سيمنع اولئك الاصدقاء من أن يشهدوا معه قالت انه لا يريد منهم مثل هـذه الشهادة ولن يطلب منهم الدفاع عنه ، انه قد يطلب رئيسه الـكولونيل ليشهد أمام المحكمة بما يعرفه عنه كجندى ، وقال لها المحامون ان الكولونيل لم يحضر لعب الورق بينمـا كاوبيت وسـندرفورد حضراه بل واشتركا فيه ، وهما مستعدان للقسم على صحة شهادتهما وردت

آن على ذلك بأن جورج فى غنى عن هــذه الشهادة ، وسيقول للمحلفين انهما أساءا النصح له وانه لا يطلب منهما العون الآن .

وقال المحامون : الا يدرك جورج أنه فى حاجة الى كل معونة ممكنة ؟ .

وأجابت آن : انه لا يدرك ذلك ، وانه برىء ، انه سـيقول الحقيقة فى المحكمة ، وانهم سيصدقونه هناك .

وكاد المحامى السير كوينتين جيسوبس يفض يده من القضية ويقول ان الماجور دافيوت مجنون فليست لديه أية فـكرة عن إجراءات المحاكم ، هل يظن القـاضى أحمق أو طفـلا ؟. ان الذين حضروا اللعب لم يكونوا عميـانا أو مصابين بالصمم ولم يـكونوا اغبياء ، بل حضروا اللعب وهم مالكون لقواهم العقلية ، وهم شركاء فى النزاع واذا لم يستدع منهم شهودا يؤيدونه ، كان فيما يقوله فى المحكمة اعترافا عاما بالذنب وتخليا عن القضية .

واخيرا استسلم جورج لرأى المحامى كرها فى نهاية الأمر ...
وكان على آن أن تجمع الحقائق من جديد من كاوبيت وسندرفورد وتعرف منهما ما حدث فعلا فى تلك الليلة وتعلم الدور الذى لعبه كل من السير بيرنارد روبر واللورد فريشووتر وجوزفين وكذلك الدور الذى لعبه كل منهم ، فى القصة المحزنة ، وكانا صـادقين فى كل ما أدليا به من وقائع ، ثم ذهبت الى قصر اللورد بونتفراكت ثم اتصلت بأصـدقائها فى هافرشوت وعـرفت ماذا كان يفعل زوجها خلال الأشهر المـاضية ، ولكن الحقائق التى حصلت عليها من الضباط الشبان الخجولين لم تكن تفيد زوجها .

ومع ذلك فقد قالوا لها شيئا عن سوء العلاقات بين دافيوت وبرادفورد وقصوا عليها نبأ حادثين وقعا .. أحدهما فى شـهر مارس ، فان برادفورد وزوجته ذهبا الى باريس فى اجازة وهناك كان الضابط تيم دوسون فى اجازة آخر الأسبوع والتقى ببرادفورد ومسز برادفورد وهما يتغديان فى كافيه دى بارى مع الليـدى جينى مونكسيتون واللورد جيم فريشووتر ، ثم عاد تيم دوسون

الى هافرشوت وقص ما حدث فى ميس الضباط اثناء الغذاء ، وسمع دافيوت هذا الحديث فأنب دوسون على الخوض فى سير السيدات وتناول سمعتهن بالاهانة والتجريح ، أما الحادث الثانى فقد كان عندما لعب دافيوت البريدج مع الضباط فى الميس بعد الغداء ، ودخـل برادفورد عليه وأخـذ يرقب اللعب ، ثم قال له بابتسامة ساخرة :

ــ ألازلت مغرما بلعب الورق يا جورج ؟ .

ورد دافيوت بهدوء قائلا :

ــ نعم عندما أختار الذين العب معهم .

وبعـــد ذلك لم يتناول غداءه أو عشاءه فى ميس الضباط واعتبر ما حدث من برادفورد اهانة له .

وواجهت آن المـركز الحرج بشجاعة وقـدمت كل الحقائق وليس يدعمها برهان واحد ، قدمتها الى المحامين ليثبتوا بها براءة زوجها .

القسم الثـــالث

- ١ -

ووقف السير أوستاس كننجهام المحامى عن الكابتن برادفورد فى اليوم الثانى من المحاكمة وبدأ استجواب الشاكى من حيث قال فى شهادته فى اليوم السابق من انه قرر تجاهل تهمة الغش التى وجهت اليه من أجل أصدقائه الذين نصحوه بعدم رفع قضـية ضد جرانت وبرادفورد .

وخرج المحـــامى من استجوابه بأن اللورد فريشووتر وهو الصديق الحميم لجورج دافيوت منـذ وقت طويل لم يخرج معه تلك الليلة عندما غضب فى قصر السير بيرنارد روبر لأنه أصيب فى احترامه وحبـــه لدافيوت ، واقتنع بأن دافيوت قد ارتكب جريمة الغش فعـــلا ، وانه فى ذلك الاقتناع شأنه شأن بقيـة الأصدقاء الذين حضروا ذلك الحفل .

واستنتج المحامى أيضـــا من هـــذا الاستجواب أن اللورد بونتفراكت عدل عن عادة دعوة الماجور دافيوت الى قصره لأنه اراد

ان يقطع صداقته به بعد اقتناعه بأنه غش فى لعب الورق اذ لم يكن هناك سبب آخر لهذا الانقطاع .

وكذلك انقطع كاوبيت وسندرفورد عن زيارته أو الاتصال به لنفس السبب ، وهما الصديقان الحميمان منـذ وقت طويل فلم يلتقيا به الا فى مكتب محاميه عندما قرر رفع هذه القضية ، وان كان كاوبيت قد اتصل به قبل ذلك مرة واحدة ليقول له ان شائعة غشه ورق اللعب قد ذاع أمرها وأن النادى الذى ينتمى اليه جورج دافيوت على وشك اتخاذ قرار بفصله من عضويته لهذا السبب .

وقال المحامى : ان كاوبيت وسندرفورد وهما وزيران سابقان ومحاميان بارعان عندما أشارا عليه بعدم رفع قضية ضد برادفورد وجرانت كانا مقتنعين بأنه لن يستطيع اثبات براءته من تهمة الغش وبأنه كان قـد ارتكب فعلا جريمة الغش فى ورق اللعب ، وان المحكمة لن تقتنع ببراءته .

واستخلص المحامى أيضا من الاستجواب أن الماجور دافيـوت ترك بيته فى المعسكر ، وأقام فى لندن بينما عمله فى هافرشوت على بعد ٦٠ ميـلا ، ايمانا منه بأنه غش فعـلا ، وتحاشيا لمقابلة الناس . وأخـذ الناس يتساءلون عن سـبب اختفائه ويحاولون ايجاد تفسير معقول له الى أن جاءهم التفسير فى شائعة غشه فى ورق اللعب ، وانتشرت الشائعة حتى بلغت مسـامع الـكولونيل صتانديش الذى استدعاه واستفسر منه عن الحقيقـة ، فلما أدلى بها اليه صدقه .

واندهش كاوبيت من وقوف محامى برادفورد على كل هـذه الوقائع ، فأكد له سندرفورد أن السير بيرنارد روبر وراء كل هذا من أجل صداقته لجوزفين زوجة برادفورد .

وخلص المحامى من كل هذا الى ان هؤلاء الأصدقاء انما نصحوه بعدم الالتجاء الى القضاء لأن هذا العمل لم يكن لصالحه لأنه ارتكب فعلا جريمة الغش ، وانه قبل هذه المشورة ، وقضى طول هـذه الأشهر وهو يعرف أن العار قد لحق به ويعرف أن الناس الراقين

يتحاشون لقاءه بعد أن كانوا يحترمونه وكانوا يجدون فخرا في اللعب معه ، وكان الماجور دافيوت قانعا بهذا الوضع لانه فعلا غش في ورق اللعب تلك الليلة ويخشى اتخاذ اجراء ضد برادفورد وجرانت .

ولكن الماجور دافيوت قال : لم اغش . انا برئ .

- ٢ -

وسأله المحامي : هل تنكر انك غششت في لعب الورق ؟ .

وأجاب الماجور دافيوت :

ـ انكر ذلك تماما .

ـ هل أخذت من المائدة ورقا كنت قد القيت به من قبل ؟

ـ كلا .. لم أفعل .

ـ وهل فعلت ذلك قبل هذه المرة مرتين أخريين ؟.

ـ لم أغش في لعب الورق هذه المرة ولا في أية مرة سابقة .

ـ هل تكذب شهادة اثنين رأياك وانت تغش ؟ .

ـ أكذبها بصفة مطلقة .

ـ من كان في مكانك يا ماجور دافيوت يكذب ذلك وخاصة ان كان ضابطا في الجيش مثلك ، فان مستقبله يتوقف على حسن سمعته ، ولهذا اسألك تبريرا لاتهام هذين الرجلين لك بالغش .

ـ مستر جرانت كان قد خسر الكثير وكان مخمورا وربما تصور رؤية اشياء لم تقع .. اما الكابتن برادفورد فقد كذب .

ـ هل تتهم الكابتن برادفورد بتعمد الكذب الخبيث ؟

ـ نعم . فهو كان يعلم أني لم أغش بأية طريقة ولا في أي وقت عندما اتهمني بذلك .

ـ هناك رجلان مستعدان لأن يقسما على انهما رأياك وأنت تغش .

ثم وقف محامي مستر جرانت واستجوب الماجور دافيوت .

وقال الماجور دافيوت ردا على أسئلة المحامى انه لم يعرف مستر جرانت من قبل وانه لم يكن لدى جرانت قبل تلك الليلة أى دافع للتهجم عليه وانه لم يحدث نزاع بينهما قبل اللعب .. ولكنه يرى أن الخسارة الكبيرة التى تعرض لها جرانت فى اللعب دفعته الى قلب المائدة وانه اقدم على هذا العمل متعمدا بعد أن القى الاتهام فى وجهه بأنه غش فى لعب الورق ، وانه ثار ثورته هذه ليتخلص من دفع دينه فى اللعب ، كما انه كان مخمورا .

ثم سأله المحامى عن الكابتن برادفورد مرة اخرى .

وقال الماجور دافيوت ردا على هذه الأسئلة ان الكابتن برادفورد ضابط بارع فى الفروسية ولا شائبة على سلوكه فى الجيش وانه بارع فى لعبة الباولو وان سجله فى المعارك بديع . ولكن لا تهمه سمعة الفرقة اذا تعارضت مع أغراضه الخاصة .

وقال المحامى :

ـ هل تقول هذا القول بعد ان وجه اليك هذا الاتهام وأنت رئيسه فى الفرقة ؟ .

وصمت دافيوت فعاد المحامى يسأله :

ـ أجبنى يا ماجور دافيوت .. هل لديك سبب آخر يدفعك الى القول بأن الكابتن برادفورد أقل منك اهتماما بسمعة الفرقة فوجه اليك هذا الاتهام ليكشف أمرك ؟ .

ـ لم يكشف أمرى بل اتى عملا آخر غير هذا . حاول أن يحطمنى رغم علمه بأنى برىء وضحى بسمعة الفرقة بسبب كراهية خاصة .

ـ اتريد ان تقول جادا ان الكابتن برادفورد تعمد أن يزج باسم الفرقة فى فضيحة رهيبة فى سبيل تسوية اهانة خاصة بينكما ؟ .

ـ نعم .

ـ وهل ترى أن الاهانة بسبب احتكاك طفيف بينكما ؟
ـ لا أراه طفيفا .

« لماذا كان يترقب الفرص لتحطيمك على وجه التحديد ؟ .
هل هناك سبب غير ذلك الاحتكاك الطفيف ؟ . »

وطال صمت الماجور دافيـوت حتى جاوز الدقيقـة ورأى الحاضرون فى هذا الصمت دلالة على أشياء خطـيرة . وتوترت اعضاء الكابتن برادفورد والتصـق كاوبيت بسندرفورد وهمـا يحدقان النظر فى الماجور دافيـوت وبدا على القاضى أنه ينصت للصمت بينما دافيوت وقف ساكنا بلا حركة أو صوت ولكنه عندما رد على هذا السؤال رد بصوت أعلى من الصوت الذى كان يرد به على غيره من الاسئلة .

« كلا . هذا هو تفسيرى . وليس عندى تفسير آخر .»

* * *

وراقب القاضى تروتر المتهمين وهم يشعرون شعور الارتياح كما لو كانوا قد تجاوزوا منطقة الخطر . فاسترخت ملامح الكابتن برادفورد ثم نظر القاضى الى مسز برادفورد ودهش اذ لم يبد على وجهها اى تعبير سوى تعبير الوقاحـة . وكان فى عينيهـا وفتحتى أنفها اتساع وفى شفتيها ضغط والتواء فى شبه ابتسامة صفراء . ثم نظر القاضى الى كاوبيت وسندرفورد وهما يتساندان تحت ضغط الخوف والرغبة والكراهية والألم . وشعر القاضى بأن هناك من يكذب وتدافعت الأفكار فى رأسه ولابد له من أن يوجه المحلفين بشأن هذه الشهادة ولكن ماذا يكون الأمر لو أن الأمر اسفر عن شىء آخر غير ماتجرى الشهادة بشأنه شىء آخر غير الغش فى ورق اللعب .. وقام من مكانه .

- ٣ -

وكانت الليدى بونتفراكت بين الحاضرين فى الجلســة جاءت لتتأكد من انها وزوجها لم يسيئا السلوك نحو جورج دافيوت .. جاءت رغما عنها لتسمع شهادة زوجها اللورد بونتفراكت ، ولكم كانت تتمنى أن لو كان زوجها قد قص عليها قصة لعبة البوكر فى حينها ولكنها لم تسمع بها الا عندما قرأت فى الصحف أن جورج سيرفع قضية قذف ، وعندئذ اكرهت زوجها على ان يحكى القصة كلها لها . حتى ظهرت آن واضطرت الليدى بونتفراكت الى أن تبرر لها كيف اضطروا الى استبعاد جورج دافيوت من قائمــة المدعوين الى حفلاتهم أو لزيارتهم والى مقاطعته . وعندئذ خرجت آن من عندها غاضبة وهى غير مقتنعة بهذه المبررات .

مسكينة مينى بونتفراكت . لقد كانت تحب آن . وقد قطعت المسافة الطويلة من قصر بونتفراكت لتكون الى جوار آن واضطرت الى الجلوس بين « تاندى » عسكرى المراسلة الذى انتهى من أداء خدمته الاجبارية وامرأة أخرى بدينة تفوح منها رائحة الكافور . وهى ترجو أن تحصل على غفران آن بوقوفها الى جانبها فى هذه الأيام العصيبة . ولكن آن لم تغفر لها . وآن ليست فى حاجة الى من يقف بجــانبها .. رأت مينى بونتفراكت ذلك بوضــوح والتمست العــذر لآن ، لأن موقفها هى وزوجها بونتفراكت زاد موقف جورج ســوءا . ولم تكن تدرى ماذا ســيقول زوجها فى الشهادة عندما يجىء دوره .

وكان هناك الكولونيل ستانديش الذى جاء بدافع من شعوره بالواجب فقد كان ولا يزال غاضبا من لعبة البوكر فالمقــامرة شىء خطير فى الجيش وخاصة اذا كانت بمبالغ كبــيرة . وبدا له أن دافيوت قد ورط نفسه فى هذه المشكلة بسبب غرامه بزوجــه ضـابط زميــل له فى الفرقة . ولكن هذا لم يبرر أن يلجأ برادفورد الى هذه الطريقة الخسيسة فى الانتقام . ورأى الكولونيل أنه من

واجب دافيوت أن يستقيل من الخدمة مهما كانت نتيجة القضية ؛ جاء الكولونيل ليبرىء ضابطه من تهمة الغش فى لعب الورق ولكن لابد على أية حال من اخراج دافيوت وبرادفورد من الفرقة .

وهذا هو ماقاله لآن عندما ذهبت اليه فى هافرشوت ، وقاله بكل ما يستطيعه من رقة رغم اعترافه بأن جورج دافيوت من احسن الضباط الذين عملوا معه طول حياته العسكرية .

وفى خلال هـذا الحديث لم يرد ذكر زوجة برادفورد . وكان الكولونيل يعلم أن آن تعرف أن جوزفين هى عقـدة الموضوع لا المقامرة .

القسـم الرابع

- ١ -

ولم يبد أن ادلاء الشهود بشهاداتهم سيستغرق وقتا طويلا . فقـد جاء كاوبيت الى مقعد الشـهود وادلى بشهادته ، ثم تلاه سندرفورد ثم اللورد بونتفراكت . وبدا على المحلفين التأثر بوجود هؤلاء الكبراء فى المحكمة . ولكن ماذا كانت نتيجة كل هذا ؟ مجرد تكرار للأقرار بالاعتقاد فى أن الماجور دافيوت لم يكن بالرجـل الذى يمكن أن يغش فى لعب الورق .

وادلى كاوبيت بشهادته فى حماس وقال انه عرفه معظم حياته الماضية وعرف فيه انه لا يمكن ان يأتى عملا دنيئا قط او يسلك سلوكا مشينا مما يحاول البعض اتهامه به . واعرب كاوبيت عن أسفه الشديد لانه نصحه بعدم رفع قضية وقتئذ ضـد اللذين اتهمـاه بالغش فى لعب الورق . وقال ان الذى دفعه الى هـذه النصيحة مراعاته لمصلحته الذاتية ، اذ رأى أن مثل هذه القضية قد تلوث سمعة كل الذين تتناولهم .

ورد على أسئلة المحامى جيسوبس فقال انه كان حاضرا اللعب بل ومشتركا فيه ولم ير شيئا غير عادى فى لعب الماجور دافيوت

فى اى وقت طول السهرة ولو حدث شيء للاحظه . وقال ان الكابتن برادفورد كان قد ترك المائدة بعض الوقت ليتناول كأسا والقى ورقه على المائدة وقال انه لن يشترك فى الدور القادم ، وكان بعيدا عن المائدة فى الوقت الذى افترض فيه أن الماجور دافيوت غير ورقه ، وما كان مستطيعا أن يرى ما يحدث على المائدة لبعده عنها وقتئذ .

ولما سأله محامى الكابتن برادفورد أصر على هذا القول ولكنه قال أنه هو الآخر ترك المائدة ثلاث مرات ليتناول بعض الكؤوس .

ولما تلاه سندر فورد على مقعد الشهود قال نفس القول ولكنه أضاف اليه ماحدث بينه وبين جرانت عقب انتهاء اللعب بتلك الصورة ، وكيف أن جرانت لم يكن واثقا من عدد الأوراق التى كانت بيده أو التى استبدلها . وقال انه يرى أن جرانت كان وقتئذ على وشك الاعتراف بأنه اخطأ عندما تدخل الكابتن برادفورد . ثم رد سندرفورد على محامى جرانت بأنه كان متشائما بشأن موقف الماجور دافيوت فنصحه بالتجاوز عن الموضوع وتركه له ولكاوبينت للتصرف فيه ، وقد تبين فيما بعد انه كان مخطئا فى نصح صديقه باتخاذ هذا المسلك ، ولكنه اعترف بأنه راعى مصلحته الشخصية عندما أسدى هذه النصيحة التى ظهر فيما بعد مدى مافيها من خطأ .

أما اللورد بونتفراكت فلم يكن لديه مايقوله عن اللعب ، اذ كان بعيدا عنه ولكنه أيد سندرفورد فى أن جرانت كان على وشك الاعتراف بالخطأ عندما تدخل برادفورد ، وأعلن اللورد حسن اعتقاده فى الماجور دافيوت .

وكان كل هذا جميلا ، ولكن لم يستطع واحد من الثلاثة أن يهرب من حقيقة أنه قضى وقتا طويلا لايرى خلاله جورج دافيوت بعد لعبة البوكر ، وقد اهتم محاميا المتهمين باستغلال هذه الحقيقة وتكرار سؤال كل بدوره عما اذا كان قد قطع علاقته بالماجور دافيوت وهو الذى صادقه منذ ايام الزمالة فى المدرسة بل ومنذ ان كانوا جميعا فى المهد .

وساد شعور القلق قاعة المحكمة أثناء توجيه هذا السؤال لكل من الثلاثة ، وبدا هؤلاء الثلاثة كما لو كانوا قد جعلوا من أنفسهم مثار سخرية . وبدا على المحلفين الارتباك .

ولما وقف الكولونيل ستانديش قائد فرقة الفرسان التى هى موضع فخر بريطانيا ليدلى بشهادته كان فى حالة ضيق عصبى وبدا للمحلفين أنه سيكون أقل كلاما من سابقيه ولكنه كان اكثرهم بيانا .

فأطال فى وصف حسن اخلاق الماجور دافيوت ثم قال انه صدق كلام دافيوت عندما أدلى اليه ببيان ماحدث فى لعبة البوكر ، وانه استدعى بعد ذلك برادفورد وسأله عما يقول بشأن ماوقع منه فى حق دافيوت من اتهام له بالغش فى لعب الورق ، فقال برادفورد انه لسوء الحظ شاهده هو وجرانت وهو يغش اللعب ، ولكن الكولونيل قال له ان هذا مستحيل ، ولابد أن يكون برادفورد وجرانت مخطئين ، ولكن برادفورد أصر على انه لا خطأ فى الموضوع بل انه هو نفسه رآه وهو يغش فى اللعب ثلاث مرات .

وسأله المحامى عما اذا كان برادفورد قد أقنعه بهذا القول فأجاب :

ــ كلا .

ــ كيف لم تقتنع ؟

ــ لأنى اعرف الماجور دافيوت منذ ثلاث وعشرين سنة .

ــ هل انت مستعد لتصديق الماجور دافيوت وتكذيب برادفورد اذا تعارضت كلمتاهما ؟ »

ــ نعم .

ــ هل انت مستعد لتصديق الماجور دافيوت حتى لو شهد ضده اثنان ؟ »

ــ نعم .

ــ هل أفهمت برادفورد موقفك هذا ؟ »

ـ نعم . وكررت له أنه لابد مخطىء وضغطت عليه لكى يتراجع عن موقفه لأنى كنت راغبا فى تحاشى الفضيحة العامة التى تصيب الفرقة . وطلبت منه أن يعترف بأنها كانت غلطة منه . وأخيرا سألته عن كيف يثبت صحة اتهامه هذا ان دعى للمثول أمام القضاء ؟ .

ـ وماذا كان جوابه ؟ .

ـ قال انه متأكد وانه يستطيع أن يذكر تفصيلات كل مرة شاهد فيها دافيوت وهو يغش فى لعب الورق .

ـ وهل أخذت كلامه مأخذ الجد ؟ .

ـ كلا بل أخذته على أنه حاول التأثير فى .

ـ وهل أثر فيك ؟ .

ـ كلا .

وهنا لاحظ القاضى أن محامى برادفورد تململ فى مكانه واضطرب قليلا بعد أن كان متخذا سمة الهدوء والاستقرار . كما لاحظ القاضى أن برادفورد تجهم* وأن سندرفورد ابتسم .

ومال القاضى الى الأمام وسأل الشاهد .

ـ هل أفهم من هذا أنك تريد أن تقول انك أتهمت الكابتن برادفورد فى مواجهته بأنه أتهم ضابطا زميلا له فى الفرقة زورا وبهتانا ؟ وذلك بسبب نزاع خاص بينهما ؟ .

ـ لم يكن قولى بهذه الصراحة ولكن جعلته يفهم انى اشعر بأنه ربما كان متأثرا بشىء آخر من هذا النوع .

ـ أظنك تدرك مدى اهمية بيانك هذا .

ـ بالتأكيد .

ـ تريد أن تقول للمحلفين انك شككت فى احتمال أن يكون الكابتن برادفورد قد اتهم الشاكى بالغش لمجرد الانتقام لنزاع خاص .

ـ نعم .

ـ هل هذا هو رأيك بعد روية فى دور الكابتن برادفورد فى هذه القضية ؟ .

ـ نعم هذا هو رأيي بعد روية .
ـ ماذا كان رأيك في موضوع النزاع الخاص ؟ هل هو ماورد في شهادة الشاكي بخصوص ضرب الكابتن برادفورد الجواد .
ـ كلا لم اسمع بشيء من هذا .

وتحير القاضي وانتابته حالة عصبية وهو مضطجع الى الوراء واخذ يطرق بأصابعه على مكتبه .

وبدأ المحامي من جديد سؤال الكولونيل عما دعاه الى التأكيد من زيف دعوى برادفورد فقال انه احس ذلك .

ـ وهل قلت ذلك لبرادفورد ؟ .
ـ جعلته يفهم ذلك .
ـ وكيف عرفت انه فهم ؟ .
ـ لأنه أنكر .
ـ ماهو الذي أنكره ؟ .
ـ قال يبدو عليك أنك تظن انى احمل ضغينة لجورج ولكنك مخطىء . فأنى منزعج لهذا الموضوع انزعاج اى شخص آخر .

ثم قام محامي برادفورد ووجه عدة اسئلة حاول بها أن يهز شهادته ولكنه لم يفلح .

وقال ردا على اسئلة المحامي ، ان الرجلين كانا على اتم وفاق من مدة عشر سنوات حتى تاريخ هذا الحادث ، وانه لا يهمه منهما سوى ادائهما واجبهما ، ولم ير عليهما ما يدل على وجود عداء بينهما .

لكي ينتقم لاهانة خاصة ؟ .
ـ ومع ذلك تقول الآن ان الكابتن برادفورد فعل هذا الشيء
ـ نعم .
ـ كيف توفق بين هذا وذاك ؟ .
ـ لا ارى في ذلك تناقضا . فلم يكن من عادتي التدخل في الشئون الخاصة للضباط ، ما داموا قائمين بعملهم على أحسن وجه .
ـ هل ترى أنه من المحتمل أن يتبادل ضابطان في فرقتك الكراهية ويستمران في العمل معا دون أن تلاحظ انت ذلك ؟ .

ـ محتمل جدا .

وقال الكولونيل انه فسر عمل برادفورد هذا بما فسره ، لانه اتهم الماجور دافيوت بالغش وانه يعرف أن دافيوت لايفعل ذلك ابدا . ثم هناك شيء آخر ، وهو انه عندما حاول اقناع برادفورد ليتراجع فى اتهامه لأن شرف الفرقة معرض للتشويه نتيجة هذا الاتهام ، لم يقبل برادفورد ذلك ، فكان هذا دليلا على مايكنه من عداوة للماجور دافيوت .

وهكذا كان الكولونيل واضحا وهادئا فى بياناته مما جعله يعطى المحلفين شيئا يمكن أن يفكروا فيه .

- ٢ -

كانت آن تنتظرجورج خارج بهو المحكمة وكان محامياه يتحدثان معه . وكان تشارلز سندرفورد مسرعا بالخروج ، ولكنه رآها واقفة هناك وحدها فمضى نحوها ونظر فى وجهها الأبيض المجهد .

ـ ماذا سيقول السير بيرنارد روبر ؟ .

ـ لن يكون لما يقوله أهمية . وقد لايستدعيه المحامى جيسوبس ولكنه لن يضر .

ـ ومسز برادفورد ؟ .

واشاح سندرفورد بوجهه جانبا من الوميض المؤلم فى ذلك الوجه الحساس ثم قال : لو كنت انا محامى الدفاع لما استدعيت جوزفين للشهادة .

ـ الا ترى انها قد تقول انها رأت جورج يغش ؟ .

ـ لا اظنها تقول ذلك .

ـ ثم هناك اللورد جيم فريشووتر . اليس جميلا انهم لم يستدعوه للشهادة ؟ .

ـ نعم . ولكن الأمر كله يتوقف على طريقة استجواب جيسوبس لبرادفورد .

ـ هل ستكون هنا .. اى هل ستحضر غدا ؟ .

ـ نعم فقد وعدت جيسوبس بأن اكون هنا فقد يحتاج الأمر الي .

وتحرك سندر فورد يريد الذهاب ولكن آن قالت :

ـ أخشى أن يكون جـــورج قد بدا غير مقـــر لجميلك أنت وكاوبيت .

ـ لا حاجة بك الى مثل هــذا القول . فأنت ترين أني كنت مخطئا فعلا عندما خطر لي أن الحقيقة لن تفيــد جورج مادام غير قادر على قولها . وأنا الآن أحاول ما أستطيع لتصحيح خطئي . اقول لك هذا ولــكن لا تبلغيه شيئا منه .

ـ لن ابلغه شيئا .

واسرع سندرفورد الى البرلمان وهو يتعجب من سير الأمور على هذا النحو . يا الهي ! لكم كانوا حمقى . ولكم كان جــورج احمق حين اخذ بنصيحتهم . ولكم كان عجيبا أنه عنــدما أخـذ جورج بنصيحتهم جعل سندرفورد يشك في براءته من تهمــة الغش . ولو أنه ألقى بنصيحتهم أرضـا ورفع القضية وقتئذ لمــا شكوا في براءته . ولكن جورج انطوى على نفسه وأغرق نفسه في الشراب كما نصحوه تماما ، وتلقى الصفعات الواحدة بعد الاخرى ، كل ذلك أثبت أن النصيحة كانت سيئة بل وشرا عليه . لقد كان جورج أحمق في عدة أمور ، ولكنه لم يكن أحمق الى حد ارتكاب خطأ في مسلك كهذا ، ولم يستطع محامي الخصم أن يتغلب عليه . لماذا ؟ لأن جورج كان يقول الحقيقة وأنه لم يغش .

وهكذا برزت الحقيقة تعمل في بطء رغم كل المظاهر . فهــل تنتصر وهل تبرز برأسها وتنظر الى المحلفين من فوق كتفي الكابتن برادفورد ؟ .

وفكر سندفورد في كل هؤلاء الذين شملتهم القضية والذين كان السير بيرنارد روبر قد جمعهم تحت سقف بيته في عطلة آخر الاسبوع ، سندرفورد وكاوبيت وبونتفراكت ، وكيف بذلوا قصارى

جهدهم فى ثنى جورج عما كان يجب عليه أن يعمله ، وكل منهم بدافع خاص من مصلحته الخاصة . فبونتفراكت بدافع من غضبه من أجل آن ، ووليام كاوبيت لأنهلم يرد لزوجته سالى أن تعرف شيئا عن لعب القمار ، ولأنه هو وسندرفورد لم يريدا أثارة ضجة فى البرلمان . بينما آن هنا تكافح فى سبيل أصلاح العطب الذى أحدثه ثلاثتهم لجورج ، وبينما لم يكن محتملا أن تثور أية ضجة فى البرلمان اكثر من توجيه سؤال أو اثنين فى المجلس ، ثم هزة رءوس بعض أعضاء الحزب وينتهى الأمر ، وان زاد الأمر لم يزد على نصيحة رقيقة أبوية من رئيس الحزب . وجيم فريشووتر لم يعد يحب جينى بعد أن اضطر للزواج منها ، وجوزفين التىجلست الى جوار جورج أثناء لعب الورق قد تجلس فى مقعد الشهود وتشهد ضده غدا . ولكنها لن تقول أنه غش فان هذا غير محتمل.

وعاد يفكر فى آن ، المرأة غير العادية والوفية العنيدة ولكنها حساسة غاية الحساسية ثابتة النظرات ، رقيقة الفم . وكانت تجربةجديدة عليه أن يصل الى اعماقامرأة من النظر الىملامحها. ولم يخطر له من قبل أن آن جذابة أو فاتنة ، ولكن آن لم يكن يهمها أن يعجب بها أحد فى الوجود سوى زوجها جورج .

وفى اليوم التالى وقف جرانت فى مكان الشهود ولم يكن سعيدا بوقفته هذه ، وظهر عليه الاضطراب والقلق مما اكسبه عطف المحلفين ، اذ لمسوا فيه الصدق .

قال انه لم يقابل الماجور دافيوت ولا الكابتن برادفورد قبل ذلك الحفل ، وقد سبق له لعب البوكر كثيرا وهو بطبيعته مقامر يراهن بمال كثير ، وقد خسر تلك الليلة حول خمسمائة جنيه . وقد اتهم الماجور دافيوت بالغش وقال نفس الكلمات التى نسب اليه قولها .

وقال انه لم يوجه الاتهام الى جورج فى نفس لحظة الغش لانه كان فى دهشة بالغة لم يصدق معها عينيه ، وتلفت حواليه

لعله يرى أن يكون أحد آخر قد لاحظ ذلك . ولكنه لم يجد احدا لاحظه ، ولم يعرف ماذا يصنع ، اذ كان يلعب مع قوم لايعرفهم بينما كل منهم يعرف الاخرين ثم كانت هناك سيدة . وكان بيده ورق كبير فكان مطمئنا الى أنه سيكسب اللعبة مهما غش الماجور دافيوت فى الورق ، وعندئذ لن يقول شيئا بل يكتفى بالتوقف عن اللعب . ولكن عندما كشف الماجور دافيوت ورقه وفاز به كان ذلك اكثر مما يستطيع احتماله فثار ثورته وألقى اتهامه .

وبدا له أن كلامه هذا معقول ومن واجب المحلفين ان يصدقوه ولكن المحامى جيسوبس ذكره بالمناقشة التى جرت بينه وبين سندرفورد واضطراب جرانت وقتئذ فى سرد الحقائق عما جرى أثناء اللعب . وانكر جرانت تذكره شيئا من ذلك . ثم ذكره بمناقشة اللوردبونتفراكت له . وكيف كانجرانت مستعدا للاعتذار لولا تأييد برادفورد له فى هذا الاتهام فقال انه يذكر ذلك .

وقال المحامى له : انك يامستر جرانت لم تكن واثقا أو متأكدا وقتئذ مما كان فى يد الماجور دافيوت من أوراق وترددت عندما سألك اللورد بونتفراكت عما اذا كنت مستعدا للاعتذار ، ولم ترد لأنك لم تكن واثقا مما اذا كنت مصيبا أم مخطئا فى زعمك .. انك رأيت الماجور دافيوت يغش الورق ، فهل تنكر ذلك الآن ؟.

ــ لقد ترددت . نعم ذلك لأنى كنت سعيدا بالتخلص من تلك المشكلة . اذ رأيتهم جميعا ضدى أو هكذا خطر لى فرأيت الاعتذار افضل .

وتلاه برادفورد فى الشهادة .

قال انه لم يحمل لرئيسه دافيوت أية ضغينة فى أى وقت بل هو معجب به ، وكان من عادته هو وزوجته زيارة الماجور دافيوت وزوجته وكانوا جميعا على علاقات طيبة أما حادث الجواد وتدخل

دافيوت بينه وبين جواده عندما اراد تأديبه لما الحقه به من اذى فلم يكن ذلك شيئا يذكر .

ثم تحدث عن لعبة البوكر فقال انه بعد انقضاء نصف ساعة من اللعب شاهد الماجور دافيوت يغش فى اللعب ، اذ استرد ورقة كان قد ألقى بها على المائدة فلم يقل شيئا ولم يفعل شيئا ، وذهل مما رأى وكذب عينيه كما حدث لجرانت ، وبعد عشر دقائق أخرى أو ربع ساعة رأى الماجور دافيوت يأتى نفس العمل فتأكد أن عينيه لم تخطئاه وأن الماجور دافيوت يغش فعلا . وفكر طويلا فيما يجب عليه أن يعمله . خشى ان هو كشف الرجل أن تكون هناك فضيحة رهيبة تشمل جميع الحاضرين والفرقة التى ينتمى اليها كلاهما ، ولهذا آثر الصمت وتظاهر بأنه لم ير شيئا . وقرر أن يواجه دافيوت بالحقيقة بعد انتهاء اللعب فيما بينهما ، ثم يبلغ الأمر للكولونيل ويتركه يفعل مايشاء فى الموضوع . ولكن عندما وجه مستر جرانت الاتهام الى الماجور دافيوت تغيرت جميع خططه التى رسمها فى هذا الشأن ، ولم تعد السرية ممكنة اذ لم يعودا وحدهما فى الموضوع بل اشترك فيه اللورد بونتفراكت واللورد فريشووتر والليدى جينى والسير بيرنارد روبر بعد أن جاءوا يستطلعون ماحدث فعرفوا القصة كلها ، فوجد أن التزام الصمت لم يعد مجديا . وفكر ثانية وبسرعة أثناء استجوابهم جرانت ، فكر فى أن الماجور دافيوت لو وجد جرانت وحده لاتخذ ضده اجراء ورفع عليه قضية ولأصبحت هناك فضيحة هائلة . أما لو رأى أن الأمر خاص باثنين ضده لتبين ضعف مركزه واعترف بالحقيقة ووافق على فض الأمر بهدوء وذلك بأن يستقيل من الخدمة العسكرية . وفى هذه الحالة لا تكون هناك حاجة الى اعلان الأمر . كان هذا هو منطق برادفورد ، وذلك هو الذى دفعه الى ضم صوته الى صوت جرانت .

وما قيل فى هذه المحكمة عما تم بعد ذلك من اتفاق على كتمان الموضوع صحيح ، وهو من جانبه لم يقل شيئا لأحد . بل عاد الى هافرشوت مساء الأحد وقابل الماجور دافيوت يوم الاثنين كما لو

لم يكن قد حدث بينهما شيء سيء ، وظل يعمل تحت رئاسة دافيوت حتى قام بالاجازة .

ولم ينتظر من دافيوت أن يعود من الاجازة بل انتظر منه بعد أن انكشف غشه أن يستقيل من الجيش فى أسرع وقت ممكن ، وان الاجازة انما هى لتغطية هذه الاستقالة أو على الاقل يطلب نقله الى فرقة أخرى ، ولكن الماجور دافيوت عاد . وكان واضحا أن أعصابه منهارة وانه أدمن الشراب بصورة لم يعد معها صالحا للبقاء فى الخدمة العسكرية . وقد بلغت القصة مسامع الكولونيل فأرسل اليه يسأله عما حدث فقص عليه ماحدث بصدق .

وسئل برادفورد بشأن ماورد فى شهادة الكولونيل عن اللقاء الذى تم بينهما ، فقال ان الكولونيل اخطأ فى موضعين الموضع الأول حين قال ، انه جعله يفهم أنه تعمد توجيه اتهام زائف ، فانه لم يفهم منه ذلك والموضع الثانى حين قال ان برادفورد سأله عما عساه يكون هناك من سبب يدفعه الى أهانة الماجور دافيوت ؟ فالواقع أنه لم يكن هناك سبب يدفعه الى اهانة دافيوت والكولونيل يعلم هذا ، فلم تكن به حاجة الى أن يسأل الكولونيل هذا السؤال .

وسئل برادفورد عما دفعه الى أن يذكر للكولونيل أنه يذكر بالتفصيل مرات الغش الثلاث فأجاب بأنه أراد أن يؤكد للكولونيل انه لم يكن هناك اى احتمال للخطأ .

وسئل عن انطباعه من مقابلته للكولونيل ، فأجاب بأنه لاحظ أن الكولونيل شعر بالضيق من الموضوع كله وبالغضب على دافيوت وبرادفورد معا للعبهما البوكر ، وبالانزعاج من الفضيحة التى تتناول الفرقة ، وبالاقتناع بأن دافيوت قد غش فعلا فى لعب الورق .

كان المحلفون جميعا يرون أن الماجور دافيوت قد غش فى لعب الورق فعلا . فيما عدا مسز بندلتون التى كانت تعطف عليه وتؤمن ببراءته ، ولكن هذا العطف لم يتجاوز القلب ولكن جانبها قوى عندما تحول براونريج الى جانبها وأخذ يقنع كل واحد من زملائه المحلفين بوجهة نظره بحماس لايفعله حتى ولو كان دافيوت شقيقه ، فان الرجل نزيه كل النزاهة وقد عرف بهذه الصفة فكان لرأيه وقوله وزنهما .

وبراونريج مدرس يحيا حياة شاقة ، فتلاميذه يسببون له الصداع الدائم وينهكون قواه ويجعلون حياته جحيما . وتصحيح أوراق هؤلاء التلاميذ وحده محنة قاسية ولم يكن يجد عزاء أو راحة الا فى حل الألغاز وبعض الرياضة .

ورأى براونريج ان القضية لم تكن قضية ورق لعب ، بل قضية صراع بين رجلين بشأن امرأة وبدأ يحقد على برادفورد عندما وقف محامى دافيوت يستجوب برادفورد .

ـ هل تنكر يا كابتن برادفورد انك قمت عن المائدة عندما وجدت ورقك خاسرا وذهبت لتشرب كأسا ؟ .

ـ لا انكر ...

ـ هل تنكر أنك كنت بعيد عن المائدة عندما كان سندرفورد يوزع الورق ؟ .

ـ انكر ذلك . فقد تركت المائدة بعد أن تم توزيع الورق ؟ وبعد أن رأيت الماجور دافيوت يغش ، بل لقد قمت عن المائدة لأنى رأيته يغش وشعرت بالاشمئزاز مما رأيت .

ـ ما دمت قد اقسمت على انك رأيت الماجور دافيوت يغش فأرجو ان تقول للمحكمة ماذا رأيته يفعل بالتفصيل لأن هذا الأمر يهم موكلى جدا .

ـ رأيت الماجور دافيوت يستبعد ورقتين من ورقه ويلقى بهما على المائدة بجواره ثم طلب ورقتين أخريين ، وبعد أن أخذهما وعرف أنه فاته شيء كبير بالقاء الورقتين السابقتين استعادهما والقى بدلا منهما ورقتين اخريين .

ـ لم تجب على سؤالي ياكابتن برادفورد بل قلت اشياء لم أطلبها واني لأرجو أن تقول للمحكمة ماحدث بالضبط خطوة خطوة فالمسألة ترتبط بسبع أوراق خمس منها اصلية في يده واثنتان أضافهما اليها ثم استبعد من الجميع اثنتين .

ـ كان ممسكا بيده اليسرى ثلاث أوراق وأعطى ورقتين اخريين وضعتا أمامه على المائدة ، فأخذهما بيده اليمنى وضمهما الى الورقات الثلاث التي بقيت بيسراه .

وسكت الشاهد وأستمر المحامي .

ـ الآن بيده اليسرى خمس ورقات وهو ينظر اليها ثم ماذا فعل ؟ .

ـ التقط الورقتين اللتين كان قد استبعدهما بيده اليمنى وضمهما بسرعة الى الاوراق الخمس ثم . . .

ـ لحظة واحدة من فضلك . لابد أن يكون قد فعل كل هذا بسرعة وفي خبرة ومع ذلك يجب أن نتتبع هاتين اليدين الخبيرتين وحركاتهما ، يده اليمنى تضم ورقتين الى خمس ورقات بيده اليسرى . وفي هذه اللحظة تصبح بيسراه سبع ورقات . هل هذا صحيح ؟ .

ـ أظن هذا .

ـ اسمع يا كابتن برادفورد . هل كان الماجور دافيوت ممسكا بجميع الأوراق في لحظة واحدة أم لا ؟ اذا كنت قد رأيته يغش بهذه الطريقة ولم تكن مختلقا هذه الواقعة الغريبة كان عليك أن تعلم ذلك علم اليقين ، أما اذا كنت مختلقا وابتدعت كل هذا من لاشيء عندما وجه مستر جرانت اتهامه الى الماجور دافيوت فمتى كان هذا الاختلاق على وجه التحديد ؟ .

ـ لم أختلق شيئا بل اقول ما رأته عيناى .

ـ حسنا هل رأيت سبع أوراق فى يده فى لحظة واحدة ؟.

ـ نعم .

ـ ثم رأيته يستعيد منها ورقتين ؟ .

ـ نعم .

ـ بدلا من الورقتين اللتين اضافهما ؟ .

ـ نعم .

ـ أين كانت الورقتان الأصليتان المستبعدتان ؟ واين وضع الاخريين ؟ .

ـ الى أحد الجانبين .

ـ أى الجانبين يمينه أم شماله ؟ .

ـ يمينه .

ـ الجانب البعيـد عنك ؟ .

ـ نعم .

ـ كيف تستطيع رؤية ماتفعله يده اليمنى وانت جالس الى يساره ؟ .

ـ كان ذلك واضحا فأنا قريب جدا منه . فنحن خمسه حول مائده .

ـ كانت زوجتك جالسة بينكما .

ـ بل كانت متأخرة عنا الى الوراء .

ـ هل كانت هى مستطيعة رؤية أوراقه ؟ .

ـ نعم .. اذا انحنت الى الأمام .

ـ هل حدث ان انحنت الى الأمام ؟ .

ـ أظنها فعلت ذلك .

ـ ولو فعل الماجور دافيوت ماتقول انه فعله اذن تستطيع هى أن تراه ؟ .

ـ نعم .

ـ وأنت لاتستطيع رؤية الأوراق التي بيده ؟ .
ـ طبعا لا .
ـ ولو نظرت انت الى أوراقه لكان ذلك غشا ؟ .
ـ نعم .
ـ أما زوجتك فلها أن تنظر ؟ .
ـ مادامت لاتتكلم بما ترى .

ـ وهل تظن أن هناك أحدا آخر راى الماجور دافيوت غير مستر جرانت ؟ .
ـ نعم راته زوجتى .
ـ راته وهو يغش ؟ .
ـ نعم .

ـ وهل راته فى المرتين السابقتين اللتين تقول عنهما ؟ .
ـ لا استطيع الجزم بذلك .
ـ اى أنك لا تستطيع الجزم بأن زوجتك راته يغش ثلاث مرات ؟ .

ـ لا استطيع ذلك .
ـ بينما تجزم بأنك انت رايته فى المرات الثلاث ؟ .
ـ نعم .
ـ بينما كاوبيت وسندرفورد لم يريا شيئا .
ـ نعم .
ـ وكيف لم ير جرانت المرتين السابقتين ؟ .
ـ لا أعرف .
ـ اليس سبب ذلك انك مختلق القصة كلها ؟ .
ـ كلا .

ـ ان ماتقوله ياكابتن برادفورد مستحيل ماديا لأن الماجور دافيوت لم يكن مستطيعا أن يفعل ماوصفته ولو مرة واحدة دون ان يرى جميع الجالسين حول المائدة مايفعله . فهل تقسم على انك رأيته فى المرات الثلاث وهو يغش ؟ .

ـ أقسم .

وعندئذ وجه المحامى حديثه للقاضى قائلا :

ـ سيدى . لقد جئت بمجموعة من أوراق اللعب معى وأريد أن استأذن المحكمة فى أن نوضح بهذه الأوراق ماذا اتهم موكلى بارتكابه وقد سمعنا فى هذه القضية الكثير عن قوة ملاحظة عينى الانسان واستميح المحكمة الاذن للمحلفين بأن يروا بأعينهم ما اقسم المدعى عليهما بأنهما رأيا موكلى يفعله . ولهذا أقترح أن أطلب من الكابتن برادفورد أن يتفضل علينا فيرينا بهذه الأوراق ما حدث بالضبط كما يقول . واذا سمحت المحكمة فانى أقترح أن ينزل من مقعد الشهود ويجلس الى هذه المنضدة ويقوم مستر سندرفورد بتوزيع الأوراق كما فعل تلك الليلة ، ويقوم الكابتن برادفورد بتمثيل مايزعم ان الماجور دافيوت فعله تلك الليلة حتى يرى المحلفون ما حدث .

وخيم السكون المطبق على المحكمة وكان واضحا أن القاضى والمحلفين والمدعى عليهما والحاضرين قد أخذوا على غره . وعندئذ تكلم القاضى مخاطبا محامى برادفورد :

ـ هل لديك اعتراض على هذا ؟ .

ونهض السير اوستاس واقفا وقال : بل عدة اعتراضات .

وكان ثائرا اذ كانت لعبة جيسوبس بارعة وكافية للقضاء على برادفورد .

ـ وما هى اعتراضاتك يا سير اوستاس ؟ .

ـ الظروف مختلفة ياسيدى . ليست لدينا مائدة لعب ولا فيشات ولا مشروبات . وليس ممكنا اعادة تمثيل ما حدث .

ـ ولكن لدينا الاوراق .

ـ بالتأكيد يا سيدى .

ـ وربما رأيت أن وجود يدين غير بارعتين فى الغش يختلف عن وجود يدين بارعتين ؟ .

ـ كلا بل انا أفكر فى شىء آخر .

ـ اعتقد أن برادفورد لم يتهم دافيوت باحتراف الغش فلماذا لا يرينا كيف غش تلك الليلة .

ـ ان شئتم سيادتكم تمثيل هذه اللعبة فانى . . . .

وأمر القاضى بافساح مكان للعب الذى يشترك فيه برادفورد وجرانت على ان يراقبهما سندرفورد أمام المحلفين . فجلس برادفورد وجرانت كلاهما قبالة الآخر والجمهور والمحلفون يرقبون فى انفعال . وجلس الماجور دافيوت خلف المحامين متشابك الزراعين كأنه تمثال من خشب ، بينما كانت زوجته ترتعد وهى تقترب منه وتمسك ذراعه .

وقال القاضى :

ـ هذه هى تجربتك يا سير كونتن .. فقل لهم ماذا يفعلون .

وقال المحامى :

ـ امسك الورق يامستر جرانت من فضلك وأعط الكابتن برادفورد خمس ورقات .

وفعل جرانت ما أمر به وهو مخفض الرأس فوق المنضدة ثم قال المحامى .

ـ خذ الأوراق ياكابتن برادفورد كما أخذها الماجور دافيوت تماما وافعل ما قلت لنا انك رأيته يفعله .

وامسك برادفورد الأوراق بيده اليسرى ونشرها كالمروحة . ورآه المحلفون يخرج ورقتين من الخمس ورقات وكانت يده ترتعش بوجه ملحوظ .

وقال القاضى : ماذا يحدث بعد ذلك ؟ .

وقال برادفورد بصوت غليظ : اعطنى ورقتين . ولم ينظر الى جرانت الذى احمر وجهه وهو يضع ورقتين على المنضدة امام الكابتن برادفورد الذى أخذهما وضمهما الى الأوراق الثلاث التى بيده اليسرى ثم مد يده اليمنى الى الورقتين اللتين كان قد استبعدها ووضعهما الى يمينه واصبحت بيسراه خمس ورقات وبيمناه ورقتان ، ورفع عينيه نحو المحلفين فالتقتا بعينى براونريج

وفيهما كراهية ومقت وقوة ، فاهتزت يده اليمنى ؟ وسقطت الورقتان اللتان بيمناه على المنضدة والقى الورقات الخمس التى بيسراه فوقهما ، ونهض قائما وقد احتقن وجهه واسود كمدا .

وصاح قائلا : هذه مهزلة .

وكانت صيحة غير مألوفة فى هذه المحكمة التى تعود الناس ان يتكلموا فيها همسا ، واستمر فى صياحه لمحاميه .

ــ هذه مهزلة لماذا قبلت أن يغرر بنا الى تمثيلها أيها الغبى؟ .

ولكنه تذكر فجأة أين هو . فالتفت الى القاضى النحيف الضئيل وقال :

ــ ليس هذا عدلا ياسيدى . ليس عدلا فالظروف مختلفة تماما .

ولم تحتمل جوزفين برادفورد ماترى فنهضت من مكانها ومضت خارجة .

ــ ٤ ــ

ماذا حدث ؟ .

لم يعرف أحد . وبدا أن كل شىء قد توقف . واجتمعت رءوس المحامين معا . وساد همس وارتبك الدفاع عن المدعى عليهما . هذا هو كل ماكان واضحا . وخرج عدد كبير من الناس من قاعة الجلسة وحاول مستر جرانت ان يهرب من الباب كمن يهرب من بيت يحترق ، ولكن يدا أمسكته واعادته الى مقعده واخذ محاميه فى حديثه معه ، وكان جرانت فى حالة ذعر وهو يضرب ركبته بقبضة يده . وبدا عليه انه على وشك البكاء . وبدا لمس بندلتون من المحلفين ان المحكمة ستنقلب الى مسرح للفوضى والاضطراب الشامل كما لو ان العواطف الحبيسه والانفعالات المكبوتة قد طغت على سطح المحكمة وتفجرت .

واضطجع القاضي الى الوراء كما لو أن الأمر كله لا يهمه في شيء .

وسألت مس بندلتون مستر براونريج وهي ترتعد وتضم كلتا يديها الى الاخرى لوقف تلك الرعدة : ما معنى هذا ؟ .

ـ ان الموضوع قد انتهى . والقضية قد انتهت بأسلوب هذا الطراز الجديد من « هملت » لايستطيعون عمل شيء الآن .

ـ هل تعنى أن الماجور دافيوت كسب القضية ؟ .

ـ طبعا فقد اتضح بجلاء أن برادفورد هذا كذاب وكل ما قاله اختلاق .

اما مستر سيدبوتوم فانه لم يشعر بمثل هذه الحيرة من قبل ولم تمر به تجربة قط كهذه طول حياته وانقلبت آراؤه رأسا على عقب .

ووقف محامى الكابتن برادفورد يطلب الكلمة ، ولكن الاهانة التى لحقته من موكله اربكته واصابته بصدمة عنيفة ، وجعلته يتلعثم وعندئذ قرر القاضي تأجيل الجلسة وقال للمحلفين .

ـ الى الغد صباحا وارجو أن تكونوا عندئذ قد وصلتم الى قرار .

***

وفى أثناء الليل تحدث سندرفورد مع كاوبيت عن القضية فقال :

ـ ان برادفورد تجاوز حده عندما زج بزوجته فى القضية ! ولو انها استدعيت للشهادة لحلت عليها الكارثة . فقد شهدها كل من كانوا فى غرفة المكتبة بقصر السير برنارد روبر وهى تثور فى وجه زوجها وتسأله لماذا وجه مثل ذلك الاتهام الى جورج دافيوت وربما استطاع برادفورد ان يقدم تفسيرا لهذا القول ، ولكنهما معا لم يكونا مستطيعين ان يقولا شيئا عما حدث فى اليوم التالى بين دافيوت وجوزفين ، بل ان جوزفين لم تجرؤ على ان تقول

شيئاً عنه لزوجها لأنه يشينها .. ولابد أن ادلاء جوزفين بشهادة كاذبة ضد جورج أمر صعب على نفسها . ومهما كان شعورها الآن ضد جورج فان استجواب المحامين لها سيكون عسيراً عليها ..
ولكن الأقدار رحمتها من اداء مثل هذه الشهادة ، ولكن لابد لها مما لابد منه بعد ان بلغت الأمور هذا الحد . وسأل كاوبيت : ماذا سيحدث لها ؟ . وأجاب سندر فورد : طلاق آخر .

ولكنها لن تجد في هذه المرة رجلا شهما سيتقدم لمساعدتها في هذه المحاولة ، وما أظن أن الأمر سيصل الى هذه الدرجة . وفي رأيي أن جوزفين ستذهب عنها نضرتها وشبابها وستتحول الى عجوز خشنة بدينة وهي تذهب الى الكازينوهات وحفلات الكوكتيل الصاخبة مما سيعجل بها الى النهاية .

وذهب سندرفورد مع كاوبيت الى نادي بلاك وهناك كان جميع الأعضاء ممسكين بالصحف وبها كل ما جرى في المحكمة واضطر سندرفورد الى تمثيل منظر لعب الورق كما بدا في المحكمة .. وبعد ذلك ذهب الى بوك بول حيث تناولا طعام العشاء وكررا منظر لعب الورق أمام جماعة من أعضاء النادي ، وكان بينهم بعض الناس الذين كانوا قد قرروا عدم لعب الورق مع الماجور دافيوت .

وتحدى سندرفورد أحد هؤلاء الناس أن يبين كيف يمكن أن يغش لعب الورق بالصورة التي عرضها برادفورد ، فلم يستطع وقال سندر فورد : وهكذا الماجور دافيوت لم يستطع ولن يستطيع ذلك .

وخيم صمت عميق .. ثم قال أحد الأعضاء :

ـ حسنا .. ألم تتم تسوية القضية ؟ .

ـ ستتم غدا ..

ـ اذن فلم يلحق بدافيوت ضرر ؟ .

ـ نعم ..

وفى اليوم التالى لم تطل اجراءات الجلسة . وقدر التعويض بثلاثة آلاف جنيه ، ألف يدفعه مستر جرانت والفان يدفعهما الكابتن برادفورد ويدفعان معا مصاريف القضية للشاكى الماجور دافيوت . واعرب محاميا جرانت وبرادفورد عن أسفهما للخطأ الذى ارتكب وسحب جرانت وبرادفورد اتهامهما دافيوت وقدما الاعتذار الكامل وقبل محامى المدعى هذا الاعتذار واعرب عن رضاه اذ اتخذت العدالة مجراها .

ولكن الماجور دافيوت تبرع بكل هذه المبالغ لأعمال البر ، فانه ليس هناك اى قدر من المال يمكن ان يعوضه عمالحق به من ضرر .

وفى المساء جلس الماجور دافيوت مع زوجته آن حول المدفأة وبعد لحظة سكون وتأمل قال لها :

ـ ماذا ستفعلين الآن يا آن ؟ .

قالت ببساطة :

ـ لن اتركك .. ان كان هذا هو ما تقصده .

وقام من مكانه واقترب من مقعدها وركع بجوارها وهمس لها فى انكسار :

ـ انا آسف جدا يا آن .. آسف جدا يا حبيبتى آن .

وضمته بين ذراعيها ، وبكى كالطفل على صدرها . ولكم كان هذا المنظر يخجله لو رآه أحد . ولكن لم يكن هناك أحد .. بل كانت هناك دموعها تنحدر فوق خديها فى صمت ثم تتساقط فوق شعر راسه .

((تمت))



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

